الإيثار والبر بالفقراء

في سيرة النبي وأهل بيته



تأليف

باقر شريف القرشي

الإيثار والبر بالفقراء
في سيرة النبي وأهل بيته

باقر شريف القرشي

الناشر :........................... ماهر
المطبعة :............................ ستاره
الطبعة الأولى :.................. ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م
عدد النسخ :................... ١٠٠٠ نسخة

ردمك
٩٧٨ـ٦٠٠ـ٩٠٤٨٧ـ٢ـ٤
ISBN 978 - 600 - 90487 - 2 - 4

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً ۞
إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً ۞
إِنَّا نَخَافُ مِن رَبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً ۞
فَوَقَاهُمُ اللهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً ۞
وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً ﴾

الإنسان ٧٦: ٨ ـ ١٢

تقديم

١

إنّ من أهمّ ما عنى به الإسلام في رسالته العظمى ترابط المجتمع وتماسكه ، وشيوع المودّة والمحبّة بين أبنائه ، وقد أقام النبيّ ﷺ لأُمّته منهجاً متطوّراً يجمع ولا يفرّق ، ويوحّد ولا يشتّت؛ يوحّد ما بين العواطف والمشاعر ، ويزيل درن النفوس ويكسوها محبّة ومودّة وتعاوناً على البرّ والتقوى .

وكان من أمثلة ذلك ما رواه المؤرّخون عن عبدالرحمن بن عوف لمّا قدم مهاجراً من مكّة إلى المدينة نزل ضيفاً على سعد بن الربيع الأنصاري فرحّب به ، وقال له: « أنا أكثر أهل المدينة مالاً ، فانظر إلى شطر من مالي فخذه ، ولي زوجتان فانظر أعجبهما إليك فأطلقها وتزوّج بها » .

أرأيتم هذه الروح الطاهرة التي أودعها النبيّ بين أصحابه لتكون منهجاً لأُمّته عبر أجيالها الصاعدة .

٢

وكره الإسلام ما فطر عليه الناس من الجشع والحرص والتهالك على المنافع ، وتكديس الأموال ، وعدم إنفاق شيء منها على إغاثة

البائسين والمحرومين كره الإسلام ذلك أشدّ ما تكون الكراهية ، ودعا إلى الإنفاق ، ومشاركة الضعفاء فيما آتى الله تعالى الأغنياء من فضله ، حتّى تسود المحبّة بين المسلمين ، ويكونون جسماً واحداً أمام الأزمات وكوارث الأيّام .

والشيء المحقّق أنّه ليس شيء أبلغ أثراً ولا أشدّ تأثيراً في تماسك المجتمع وترابطه من إيثار ذوي الفضل والثراء للفقراء والإحسان إليهم . فلذا أكّد الإسلام على ضرورته وألحّ عليه .

٣

وبرزت في سيرة النبيّ وأهل بيته أسمى حضارة إنسانيّة عرفها التاريخ ، فكان البارز منها نكران الذات ، والزهد في الدنيا ، وحبّ الخير للناس ، والبرّ بالفقراء ، وإسعاف المحرومين والمعذّبين ، وغير ذلك من الصفات التي يسمو بها الإنسان .

إنّ أخلاق النبيّ وأهل بيته عليهم السلام دروس مقدّسة لإقامة الأخلاق وآداب السلوك ، ويجب أن تنشر وتدرّس في مناهج التربية والتعليم ليقتبس منها طلاب العلوم وروّاد الأدب والثقافة كيما تزدهر به الحياة القائمة في هذا العصر على الظلم والغطرسة والأنانيّة ، وتقف بوجه تهالك الدول الكبرى على غزو الأمّة الضعيفة ، ونهب ثرواتها ومقوّماتها الاقتصاديّة .

٤

إنّ أخلاق النبيّ صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام مدرسة كبرى للقيم الإنسانيّة ، وغذاء روحي لصفاء النفوس وطهارتها من الزيغ والإثم ، وتعاون جادّ

بين طبقات الشعب لبناء مجتمع سليم تسوده العدالة . وتنتشر فيه المودّة والمحبّة ، ويسير فيه الإنسان إلى جانب أخيه آمناً من الظلم والغبن والاعتداء .

إنّ أهمَ رصيد للحضارة الإنسانيّة التي تزدهر بها الحياة هي السيرة العاطرة لأهل البيت عليهم السلام التي كان من مقوّماتها إيثار الفقراء والإحسان إليهم ، واحتضانهم للأرامل والأيتام .

يقول الكميت فيهم:

وَالْـــغيوثُ اللُّـيوثُ إنْ أَمْـحَلَ
النّاسُ فَـمَأْوىٰ حَـواضِـنِ الأَيْـتامِ

وكان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام كالأب الرؤوف للأيتام . يطعمهم بيده ، ويغذّيهم بحنانه وألطافه . ويشملهم ببرّه وإحسانه .

من بحوث هذا الكتاب عرض لبعض آيات الذكر الحكيم تحثّ على الإيثار والبرّ بالفقراء ، والإنفاق في سبيل الله تعالى ، كما أنّ من بنوده ما أُثر عن النبيّ صلى الله عليه وآله وأوصيائه العظام زخم من الأحاديث التي حثّت على إسعاف الفقراء ، وإنقاذهم من غائلة البؤس والحرمان . ومضافاً إلى أحاديثهم سيرتهم العطرة وسلوكهم المتّسم بالحنان والعطف على البؤساء والضعفاء حتّى عدّ ذلك من عناصرهم ومقوّماتهم . ومن أحبّ ما كانوا يدعون إليه .

٥

لقد عاش أهل البيت عليهم السلام لإسعاد الناس والبرّ بهم . والإحسان لفقرائهم . ومشاركتهم في البأساء والضرّاء .

وقبل أن أطوي الحديث عن هذا التقديم أرى من المفيد أن أعرض على القرّاء أنّ هذه البحوث عن أهل البيت عليهم السلام ليس فيها تعصّب ولا تحيّز ، وإنّما فيها خدمة للأُمّة وإبراز لأهم مقوّماتها الحضاريّة والفكريّة ، فإنّ أهل البيت عليهم السلام أهمّ رصيد حضاري لها ، قد منحهم الله تعالى الحكمة وفصل الخطاب ، وفضّلهم على كثير من عباده ، وطهّرهم من الزيغ والرجس ، وفرض مودّتهم على المسلمين .

وإنّي آمل من الله تعالى أن يمنّ علينا بخدمة أهل البيت عليهم السلام الذين هم سفن النجاة ، ومصابيح الإسلام ، وأن يحشرنا معهم يوم نلقاه .

وفي نهاية هذا التقديم أرى أن أُقدّم جزيل الشكر إلى ورثة المغفور له المرحوم الحاج أبي محمّد تقي عبدالله شبيب لإنفاقهم على طبع هذا الكتاب وجعله من مبرّاته ، تقبّل الله ذلك وأثابه على هذه المبرّة .

إنّه تعالى وليّ ذلك والقادر عليه .

باقر شريف القرشي

١٥ / رجب / ١٤٣٠هـ

مكتبة الإمام الحسن العامّة

النجف الأشرف

الإيثار والإحسان والبر في القرآن

تبنّى القرآن الكريم بصورة موضوعيّة الوسائل التي تحمل طابع المودّة والإخاء بين المسلمين ، كما دعا إلى الوحدة الشاملة القائمة على الوعي ليكونوا يداً واحدة في تماسكهم ووحدة أهدافهم ، ومن بين الوسائل التي اتّخذها القرآن لترابط المسلمين :

الإيثار

من الصفات الشريفة التي ينبغي أن يتحلّى بها المسلم « الإيثار » ، وهو أن يؤثر أخاه المسلم على نفسه ليدفع عنه مرارة العيش وبؤس الحياة .

وقد تحدّث القرآن الحكيم عن هذه الظاهرة ، قال تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوْا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾[1] .

وممّا ورد في سبب نزول هذه الآية أنّ فقيراً جائعاً طلب من رسول الله ﷺ أن يطعمه ، فانبرى إليه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فأخذه إلى داره ولم يكن في البيت طعام يقدّم للفقير سوى عشاء أطفاله وزوجته ، فقدّمت سيّدة نساء العالمين

---

(١) الحشر ٥٩ : ٩ .

الطعام الذي أعدّته لأطفالها إلى الفقير ، وباتوا تلك الليلة جياعاً ، فنزلت فيهم هذه الآية[١] التي أشادت بسموّ أهل البيت عليهم السلام .

■ عن أبان بن تغلب ، عن أبي عبدالله عليه السلام : « قلت : أخبرني عن حقّ المؤمن على المؤمن ؟

فقال : يا أبانُ ، دَعْهُ لا تُرِدْهُ .

قلت : بلى جعلت فداك ، فلم أزل أُردّد عليه .

فقال : يا أبانُ ، تُقاسِمُهُ شَطْرَ مالِكَ ، ثمّ نظر إليّ فرأى ما دخلني . فقال : يا أبانُ ، أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ ذَكَرَ الْمُؤْثِرينَ عَلىٰ أَنْفُسِهِمْ ؟

قلت : بلى جعلت فداك .

فقال : إذا قاسَمْتَهُ فَلَمْ تُؤْثِرْهُ بَعْدُ إِنَّما أَنْتَ وَهُوَ سَواءٌ ، إِنَّما تُؤْثِرُهُ إذا أَعْطَيْتَهُ مِنَ النِّصْفِ الآخَرِ »[٢] .

■ وعن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالى : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ، قال : « بَيْنا عَلِيٌّ عليه السلام عِنْدَ فاطِمَةَ عليها السلام إذْ قالَتْ لَهُ : يا عَلِيُّ ، اذْهَبْ إلىٰ أَبي فَابْغِنا مِنْهُ شَيْئاً ؟

فَقالَ : نَعَمْ ، فَأَتىٰ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله فَأَعْطاهُ دِيناراً ، وَقالَ : يا عَلِيُّ ، اذْهَبْ فَابْتَعْ لِأَهْلِكَ طَعاماً ، فَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ ، فَلَقِيَهُ الْمِقْدادُ بْنُ الأَسْوَدِ وَقاما ما شاءَ اللهُ أَنْ يَقوما ، وَذَكَرَ لَهُ حاجَتَهُ ، فَأَعْطاهُ الدِّينارَ وَانْطَلَقَ إِلَى الْمَسْجِدِ ، فَوَضَعَ رَأْسَهُ فَنامَ .

فَانْتَظَرَهُ رَسُولُ اللهِ فَلَمْ يَأْتِ ، ثُمَّ انْتَظَرَهُ فَلَمْ يَأْتِ ، فَخَرَجَ يَدورُ في الْمَسْجِدِ فَإِذا

---

(١) مجمع البيان : ٦ : ٢٩ .

(٢) أصول الكافي : ٢ : ١٧٢ ، الحديث ٨ .

هُوَ بِعَلِيٍّ عليه السلام نائِماً في الْمَسْجِدِ ، فَحَرَّكَهُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله فَقَعَدَ ، فَقالَ لَهُ : يا عَلِيُّ ، ما صَنَعْتَ ؟

فَقالَ : يا رَسُولَ اللهِ ، خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِكَ فَلَقِيَنِي الْمِقْدادُ بْنُ الْأَسْوَدِ ، فَذَكَرَ لي ما شاءَ اللهُ أَنْ يَذْكُرَ ، فَأَعْطَيْتُهُ الدِّينارَ .

فَقالَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله : أَما إِنَّ جَبْرائِيلَ قَدْ أَنْبَأَني بِذلِكَ ، وَقَدْ أَنْزَلَ اللهُ كِتاباً فيكَ : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ »[١] .

فمن المؤكّد أنّ الإيثار للغير يترك بصمات من المودّة والمحبّة في أعماق القلوب ودخائل النفوس .

الإحسان

وفي الذكر الحكيم آيات تحثّ على الإحسان وتدعو إليه ، لأنّه من أهمّ القيم الإسلاميّة ، وهذه شذرات من تلك الآيات :

قال تعالى : ﴿ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾[٢] .

إنّ نعم الله عزّ اسمه وفيوضه على الإنسان مستمرّة ، والواجب عليه أن يحسن إلى أخيه الإنسان كما أحسن الله تعالى له .

وقال تعالى : ﴿ وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾[٣] .

---

(١) بحار الأنوار : ٣٦ : ٥٩ .

(٢) القصص ٢٨ : ٧٧ .

(٣) البقرة ٢ : ١٩٥ .

وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظّاً مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً إِنَّ رَحْمَةَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٤) .

إنّ رحمة الله تعالى وألطافه قريبة من المحسنين ، وفيها دعوة إلى الإحسان .

وقال تعالى : ﴿ وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٥) .

وعد الله تعالى المحسنين بأن يجازيهم جزاء حسناً ، ولا يضيع أجرهم في الدنيا والآخرة .

وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٦) .

---

(١) آل عمران ٣ : ١٣٤ .

(٢) المائدة ٥ : ١٣ .

(٣) المائدة ٥ : ٩٣ .

(٤) الأعراف ٧ : ٥٦ .

(٥) هود ١١ : ١١٥ .

(٦) العنكبوت ٢٩ : ٦٩ .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (١) .

إنّ العدل هو الذي تدور عليه أنظمة الوجود ، وهو القانون الإلٰهي في إدارة نظام الكون ، وقد قرن الله تعالى الإحسان به نظراً لأهمّيّته .

وقال تعالى : ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾ (٢) .

هذه بعض الآيات التي حثّت على الإحسان ، ووعدت المحسنين بالأجر الجزيل عند الله تعالى .

البرّ

وكان ممّا اهتمّ به الإسلام وأكّد عليه البرّ والتعاون بين المسلمين . وهذه بعض الآيات التي حثّت على ذلك :

قال تعالى : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي

---

(١) النحل ١٦ : ٩٠ .

(٢) الرحمن ٥٥ : ٦٠ .

(٣) البقرة ٢ : ٤٤ .

(٤) آل عمران ٣ : ٩٢ .

الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَـٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَـٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[١] .

إنّ الإنفاق ممّا يحبّه الإنسان من المال من أفضل القربات وأحبّها إلى الله تعالى ، وقد ذكر المؤرّخون أنّ رسول الله ﷺ اشترى ثوباً جديداً وأهداه إلى بضعته سيّدة نساء العالمين عليها السلام ليلة زواجها .

وفي اليوم الثاني لم يشاهده عليها ، فسألها عنه ، فقالت له : **جاءَتْني فَتاةٌ مِنَ الْأَنْصارِ لَيْسَ عِنْدَها ثَوْبٌ ، فَأَعْطَيْتُهُ لَها لِقَوْلِهِ تَعالىٰ : ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾** .

فبهر النبيّ ﷺ وأكبر بضعته[٢] .

وروى المؤرّخون أنّ أبا طلحة الأنصاري كان من أكثر أهل المدينة نخلاً ، وكان من أحبّ أمواله إليه بئر حاء .

وكان رسول الله ﷺ يشرب من مائها لطيبه ، فلمّا نزلت الآية **﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾** أقبل أبو طلحة على رسول الله ﷺ فقال له : إنّ أحبّ أموالي إليّ بئرحاء ، وأنّها صدقة أرجو برّها وذخرها عند الله ، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله .

فقال له رسول الله ﷺ : **بَخٍ بَخٍ ، ذٰلِكَ مالٌ رابِحٌ لَكَ ، وَإِنّي أَرىٰ أَنْ تَجْعَلَها فِي الْأَقْرَبِينَ لَكَ** ، فقسّمها أبو طلحة في أرحامه[٣] .

---

(١) البقرة ٢ : ١٧٧ .

(٢) حياة سيّد النساء فاطمة الزهراء عليها السلام : ٦٤ .

(٣) معجم ما استعجم : ٢ : ٤٣١ .

وقال تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (١) .

الإنفاق

ندب القرآن الكريم إلى الإنفاق على الفقراء والمحتاجين ، وجعل مَن أنفق عليهم كأنّه أقرض الله تعالى ، وهو سبحانه غنيّ عنه . يضاعف له الأجر والإحسان . قال تعالى : ﴿ مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً وَاللهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (٢) .

إنّ الذي ينفق في حماية المعوزين والمستضعفين قد ساهم في بناء مجتمع فاضل تتوفّر فيه الكرامة والعزّة .

وقال تعالى : ﴿ وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنّاً وَلَا أَذىً لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ

---

(١) المائدة ٥ : ٢ .

(٢) البقرة ٢ : ٢٤٥ .

(٣) البقرة ٢ : ١٩٥ .

(٤) البقرة ٢ : ٢٥٤ .

(٥) البقرة ٢ : ٢٦٢ .

خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُم وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (٢) .

رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَن تَبُورَ ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلّاً وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (٦) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللهَ قَرْضاً حَسَناً يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾ (٧)

---

(١) البقرة ٢ : ٢٧١ .

(٢) التوبة ٩ : ٦٠ .

(٣) الرعد ١٣ : ٢٢ .

(٤) الفرقان ٢٥ : ٦٧ .

(٥) فاطر ٣٥ : ٢٩ .

(٦) الحديد ٥٧ : ١٠ .

(٧) الحديد ٥٧ : ١٨ .

وقال تعالى : ﴿ وَأَنفِقُوا مِن مَا رَزَقْنَاكُم مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾[١] .

وقال تعالى : ﴿ فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيراً لِأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[٢] . وغيرها من الآيات .

وبهذا نطوي الحديث عن بعض الآيات التي أكّدت على إسعاف الفقراء ، وإنقاذهم من البؤس والحرمان حتّى يسود الخير بين المسلمين ولا تبقى فئة ينهشها الجوع .

---

(١) المنافقون ٦٣ : ١٠ .

(٢) التغابن ٦٤ : ١٦ .

سيرة النبي صلى الله عليه وآله مع الفقراء

سيرة النبي ﷺ مع الفقراء

من الصفات الرفيعة الماثلة في شخصيّة الرسول ﷺ حبّه العارم للفقراء ، فكان يكنّ لهم في أعماق نفسه الودّ والإخلاص . وكان أباً رحيماً لهم وكهفاً وملجأً يلوذون به . وقد وجدوا في كنف مراعاته من البرّ والإحسان ما لا يوصف . وهم الذين سبقوا إلى اعتناق رسالته والإيمان به . وقد عانوا من جبابرة قريش أشدّ ألوان المحن والبلاء .

وكان من حبّ النبيّ ﷺ للفقراء والمساكين أنّه كان يدعو الله تعالى أن يحشره في زمرتهم .

■ فقد روى أبو سعيد ، قال : « سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **اللّهُمَّ أَحْيِني مِسْكِيْناً . وَتَوَفَّني مِسْكِيناً . وَاحْشُرْني في زُمْرَةِ الْمَساكِينِ . وَإِنَّ أَشْقَى الأَشْقِياء مَنِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ فَقْرُ الدُّنْيا وَعَذابُ الآخِرَةِ** »[1] .

■ وروى أنس : « أنّ رسول ﷺ قال : **اللّهُمَّ أَحْيِني مِسْكِيْناً . وَاحْشُرْني في زُمْرَةِ الْمَساكِيْنِ يَوْمَ الْقِيامَةِ** .

فانبرت إليه عائشة قائلة : لِمَ يا رسول الله ؟

فأجابها النبيّ ﷺ : **إِنَّهُمْ يَدْخُلُوْنَ الْجَنَّةَ قَبْلَ أَغْنِيائِهِمْ بِأَرْبَعِيْنَ خَرِيْفاً . يا عَائِشَةُ** ،

---

(١) المستدرك على الصحيحين : ٢ : ٥٦ .

سيرة النبي ﷺ مع الفقراء

من الصفات الرفيعة الماثلة في شخصيّة الرسول ﷺ حبّه العارم للفقراء ، فكان يكنّ لهم في أعماق نفسه الودّ والإخلاص . وكان أباً رحيماً لهم وكهفاً وملجأً يلوذون به . وقد وجدوا في كنف مراعاته من البرّ والإحسان ما لا يوصف ، وهم الذين سبقوا إلى اعتناق رسالته والإيمان به ، وقد عانوا من جبابرة قريش أشدّ ألوان المحن والبلاء .

وكان من حبّ النبيّ ﷺ للفقراء والمساكين أنّه كان يدعو الله تعالى أن يحشره في زمرتهم .

■ فقد روى أبو سعيد ، قال : « سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **اللّهُمَّ أَحْيِنِي مِسْكِيْناً ، وَتَوَفَّنِي مِسْكِيناً ، وَاحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ الْمَساكِينِ ، وَإِنَّ أَشْقَى الْأَشْقِياء مَنِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ فَقْرُ الدُّنْيا وَعَذابُ الْآخِرَةِ** »[(١)] .

■ وروى أنس : « أنّ رسول ﷺ قال : **اللّهُمَّ أَحْيِنِي مِسْكِيْناً . وَاحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ الْمَساكِيْنِ يَوْمَ الْقِيامَةِ** .

فانبرت إليه عائشة قائلة : لِمَ يا رسول الله ؟

فأجابها النبيّ ﷺ : **إِنَّهُمْ يَدْخُلُوْنَ الْجَنَّةَ قَبْلَ أَغْنِيائِهِمْ بِأَرْبَعِيْنَ خَرِيْفاً . يا عائِشَةُ ،**

---

(١) المستدرك على الصحيحين : ٢ : ٥٦ .

لَا تَرُدِّي الْمِسْكِينَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ . يا عائِشَةُ ، أَحِبِّي الْمَساكِيْنَ وَقَرِّبِيْهِمْ ، فَإِنَّ اللهَ يُقَرِّبُكِ يَوْمَ الْقِيامَةِ »[١] .

لقد احتضن النبيّ ﷺ الفقراء ، وأغدق عليهم ببرّه ومعروفه ، ومعظم ثراء أمّ المؤمنين خديجة أنفقه النبيّ ﷺ على فقراء المسلمين وضعفائهم .

وفي مرضه الذي انتقل فيه إلى جنّة المأوى كانت عنده سبعة دنانير أمر أهله أن يتصدّقوا بها ، ولكنّ انشغالهم بتمريضه أنساهم ذلك ، فسألهم عنها ، فأجابوه أنّها ما تزال باقية عندهم ، فأمرهم بإحضارها ، فجيء بها إليه فوضعها في كفّه وقال : ما ظَنُّ مُحَمَّدٍ بِرَبِّهِ لَوْ لَقِيَ اللهَ وَعِنْدَهُ هٰذِهِ .

ثمّ تصدّق بها على فقراء المسلمين ، ولم يبق عنده أي شيء من الأموال[٢] .

هكذا كانت سيرة النبيّ ﷺ في جميع فترات حياته البرّ بالفقراء والإحسان إليهم .

من أقوال النبيّ ﷺ في : البرّ

أُثرت عن النبيّ ﷺ مجموعة من الأحاديث تحثّ على فعل الخير ، كان منها :

قال ﷺ : « إِفْعَلُوا الْخَيْرَ دَهْرَكُمْ ، وَتَعَرَّضُوا لِنَفَحاتِ رَحْمَةِ اللهِ ، فَإِنَّ للهِ نَفَحاتٌ مِنْ رَحْمَتِهِ يُصيبُ بِها مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ ، وَسَلوا اللهَ أَنْ يَسْتُرَ عَوْراتِكُمْ ، وَيُؤْمِنَ رَوْعاتِكُمْ »[٣] .

---

(١) صحيح الترمذي : ٢ : ٥٦ .

(٢) مسند أحمد بن حنبل : ٦ : ٤٩ .

(٣) الشهاب : ١٢ .

ومن أسمى صور الخير البرّ بالفقراء والإحسان إليهم .

الإحسان

دعا النبيّ ﷺ إلى الإحسان وأكّد عليه ، قال : « جُبِلَتِ القُلُوبُ عَلىٰ حُبِّ مَنْ أَحْسَنَ اِلَيْها وَبُغْضِ مَنْ أَساءَ اِلَيْها »(١) .

إنّ النفوس جبلت على الولاء لمن أسدى لها خيراً ، كما جبلت على بغض مَن أساء إليها ، ومن أظهر ألوان الإحسان إغاثة الفقير ومساعدته على التخلّص من بلاء الفقر .

فعل المعروف

أشاد النبيّ ﷺ بالذين يسدون المعروف إلى الناس ، قال : « إنَّ اللهَ تَعالىٰ جَعَلَ لِلْمَعْرُوفِ وُجُوهاً مِنْ خَلْقِهِ حَبَّبَ اِلَيْهِمُ الْمَعْرُوفَ وَحَبَّبَ اِلَيْهِمْ فِعالَهُ ، وَوَجَّهَ طُلاّبَ المَعْرُوفِ إِلَيْهِمْ وَيَسَّرَ عَلَيْهِمْ إِعْطاءَهُ كَما يَسَّرَ الْغَيْثَ إِلَى الأَرْضِ الْجَدْبَةِ لِيُحْيِيها وَيُحْيِيَ بِها أَهْلَها » .

وأضاف النبيّ ﷺ قائلاً : « وَإِنَّ صَنائِعَ الْمَعْرُوفِ تَقي مَصارِعَ السُّوءِ . وَأَهْلُ الْمَعْرُوفِ في الدُّنْيا أَهْلُ الْمَعْرُوفِ في الآخِرَة . وَإِنَّ أَوَّلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولاً هُمْ أَهْلُ الْمَعْرُوفِ . إِنَّ صَدَقَةَ السِّرِّ لَتُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ وَإِنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ لَتَزِيدُ في الْعُمْرِ »(٢) .

إنّ إغاثة الفقير من ويلات البؤس من أفضل ألوان المعروف ومن أكثره أجراً عند الله تعالى .

---

(١) مسند أحمد بن حنبل : ٢ : ٢٥٤ . أمثال الماوردي : ٥٦ . محاضرات الراغب : ١ : ٦٤٨ .
(٢) الجامع الصغير : ١ : ٦٩ . رسائل ابن أبي الدنيا : ٧٤ .

مراعاة الضعفاء

أكّد النبيّ ﷺ على مراعاة الضعفاء والبرّ بهم ، فقال : « **ابْغُونِي الضُّعَفاءَ فَإِنَّما تُرْزَقُونَ وَتُنْصَرُونَ بِضُعَفائِكُمْ** »(١) .

إنّ البرّ بالضعفاء والإحسان إليهم من موجبات الرزق والنصر .

الوصيّة باليتيم

وصّى النبيّ ﷺ باليتيم والإحسان إليه ، قال : « **أَتُحِبُّ أَنْ يَلِينَ قَلْبُكَ ، وَتُدْرِكَ حاجَتَكَ ؟ اِرْحَمِ الْيَتِيمَ ، وَامْسَحْ رَأْسَهُ ، وَأَطْعِمْهُ مِنْ طَعامِكَ يَلِنْ قَلْبُكَ ، وَتُدْرِكْ حاجَتَكَ** »(٢) .

إنّ العناية بالأيتام والإحسان إليهم من أهمّ القيم التي اهتمّ بها الإسلام .

أفضل الأعمال

ندب النبيّ ﷺ إلى أفضل الأعمال ، قال : « **أَفْضَلُ الْفَضائِلِ أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ ، وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ ، وَتَصْفَحَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ** »(٣) .

إنّ هذه الخصال من أفضل الأعمال وأحبّها إلى الله تعالى وإلى رسوله ﷺ .

إطعام الجائع

ندب النبيّ ﷺ إلى إطعام الجائع ، قال : « **أَحَبُّ الْأَعْمالِ إِلَى اللهِ مَنْ أَطْعَمَ مِنْ**

---

(١) المصنّف : ١١ : ٩٧.

(٢) كشاف القناع : ٣ : ٥٢٢ .

(٣) أُصول الكافي : ٢ : ١٠٧ .

جُوعٍ ، أَوْ دَفَعَ عَنْهُ مَغْرَماً ، أَوْ كَشَفَ عَنْهُ كَرْباً »[١] .

إنّ أحبّ الأعمال إلى الله تعالى وأقربها إليه هي الأعمال الثلاث التي دعا لها النبيّ ﷺ إسعاف الفقراء ، ومساعدتهم على محن الزمان .

إعطاء السائل

حثّ النبيّ ﷺ على إعطاء السائل وقضاء حاجته . قال : « **أَعْطِ السَّائِلَ وَلَوْ جاءَكَ عَلىٰ فَرَسٍ ، وَأَعْطُوا الْأَجِيْرَ حَقَّهُ قَبْلَ أَنْ يَجِفَّ عَرَقُهُ** »[٢] .

أمر النبيّ ﷺ بإعطاء السائل وإن كان ظاهره اليسر ، كما أمر بإعطاء الأجير أجرته قبل أن يجفّ عرقه .

الحثّ على الصدقة

وتظافرت الأخبار عن النبيّ ﷺ في الحثّ على الصدقة ، كان منها :

١ ـ قال ﷺ : « **باكِرُوا بِالصَّدَقَةِ فَإِنَّ الْبَلاءَ لَا يَتَخَطَّى الصَّدَقَةَ** »[٣] .

٢ ـ قال ﷺ : « **خَيْرُ أَبْوابِ الْبِرِّ الصَّدَقَةُ** »[٤] .

٣ ـ قال ﷺ : « **حَصِّنُوا أَمْوالَكُمْ بِالزَّكاةِ ، وَداوُوا مَرْضاكُمْ بِالصَّدَقَةِ ، وَأَعِدُّوا لِلْبَلاءِ الدُّعاءَ** »[٥] .

---

(١) مجمع الزوائد : ٣ : ١١٦ .

(٢) الكافي : ٤ : ١٥ .

(٣) المقنع : ٢٩٦ .

(٤) المعجم الكبير : ١٢ : ١٤٢ ، الرقم ١٢٨٣٤ . كنز العمّال : ٦ : ٣٥١ ، الرقم ١٦٠١٥ . مجمع الزوائد : ٣ : ١١٠ .

(٥) نهج الفصاحة : ١ : ٣٢٤ ، نقلاً عن المعجم الكبير : ١ : ١٢٨ .

إنّ الصدقة خير دواء للإنسان ، فإنّ الله تعالى أعدّ للمريض أن يمنّ عليه بالشفاء إذا تصدّق .

٤ ـ قال ﷺ : « الْخَلْقُ كُلُّهُمْ عِيالُ اللهِ فَأَحَبُّهُمْ إِلَى اللهِ أَنْفَعُهُمْ لِعيالِه »(١) .

٥ ـ قال ﷺ : « إنَّ الصَّدَقَةَ لَتُطْفِي غَضَبَ الرَّبِّ ، وَتَدْفَعُ مِيتَةَ السُّوءِ »(٢) .

٦ ـ قال ﷺ : « الصَّدَقَةُ تَسُدُّ سَبْعينَ باباً مِنَ السُّوءِ »(٣) .

٧ ـ قال ﷺ : « يا عَلِيُّ ، ثَلاثٌ مِنْ حَقائِقِ الإِيمانِ : الْإِنْفاقُ مِنَ الْإِقْتارِ ، وَإِنْصافُ النَّاسِ مِنْ نَفْسِكَ ، وَبَذْلِ الْعِلْمِ لِلْمُتَعَلِّمِ »(٤) .

هذه بعض الأحاديث النبويّة التي ندبت إلى الصدقة على الفقراء لمكافحة الفقر واجتثاثه ، ونشر الرفاهية والسعة بين المسلمين .

المواساة

دعا النبيّ ﷺ المسلمين إلى المواساة فيما بينهم ، ومساعدة بعضهم لبعض في شؤونهم المادّيّة ، فقد بعث خلف رجل من أصحابه فأبطأ عليه ، فلمّا مثل عنده قال له : ما أَبْطَأَ بِكَ ؟

ـ العري .

أَما كانَ لَكَ جارٌ لَهُ ثَوْبانِ يُعيرُكَ أَحَدَهُما ؟

---

(١) الرسالة السعديّة : ١٦٠.

(٢) من لا يحضره الفقيه : ١ : ٢٠٥.

(٣) المعجم الكبير : ٤ : ٢٧٤ ، الرقم ٤٤٠٢ . كنز العمّال : ٦ : ٣٤٥ ، الرقم ١٥٩٨٠ . مجمع الزوائد : ٣ : ١٠٩ . بحار الأنوار : ٩٦ : ١٣٢ ، نقلاً عن الدعوات .

(٤) وسائل الشيعة : ٩ : ٤٣٠ ، الباب ٢٨ من أبواب الصدقة ، الحديث ٣.

- بلى يا رسول الله .

فتألّم النبيّ ﷺ وراح يقول : **ما هٰذا لَكَ بِأَخٍ**[١] .

إنّ الإسلام بقيمه الخالدة لا يدع كابوساً للفقر جاثماً على حياة المسلمين .

صلة الأرحام

دعا النبيّ ﷺ إلى مساعدة فقراء الأرحام والبرّ بهم ، والإحسان إليهم تحقيقاً للتكافل الاجتماعي بين المسلمين ، وهذه شذرات من الأخبار الداعية لذلك :

١ - قال ﷺ : « **أُوصي الشّاهِدَ مِنْ أُمّتي وَالْغائِبَ مِنْهُمْ وَمَنْ في أَصْلابِ الرِّجالِ وَأَرْحامِ النِّساءِ إِلىٰ يَوْمِ الْقِيامَةِ أَنْ يَصِلَ الرَّحِمَ وَإِنْ كانَتْ مِنْهُ عَلىٰ مَسيرَةِ سَنَةٍ . فَإِنَّ ذٰلِكَ مِنَ الدِّينِ** »[٢] .

إنّ أعظم منفعة للرحم إسعافه والبرّ به ماديّاً ، ورفع غائلة الجوع عنه .

٢ - قال ﷺ : « **صِلَةُ الرَّحِمِ تَزيدُ في الْعُمْرِ ، وَصَدَقَةُ السِّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ** »[٣] .

٣ - قال ﷺ : « **مَنْ قَطَعَ رَحِماً أَوْ حَلَفَ عَلىٰ يَمينٍ فاجِرَةٍ رَأىٰ وَبالَهُ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ** »[٤] .

إلى غير ذلك من الأحاديث النبويّة التي حثّت على صلة الأرحام ماديّاً ، وغير ذلك من شؤون حياتهم حتّى تشيع المودّة بين المسلمين .

---

(١) مصادقة الإخوان للشيخ الصدوق : ٣٦ .

(٢) أُصول الكافي : ٢ : ١٥٨ .

(٣) معاني الأخبار : ٢٦٤ .

(٤) الجامع الصغير : ٢ : ٦٣٧ .

الجار

اهتمّ النبيّ ﷺ اهتماماً بالغاً بالجار ، ودعا إلى مواساته في السرّاء والضرّاء ، قال ﷺ :

١ ـ قال ﷺ : « ما آمَنَ بي مَنْ باتَ شَبْعاناً وَجارُهُ جائِعٌ إلى جَنْبِه وَهُوَ يَعْلَمُ بِه »[١].

٢ ـ قال ﷺ : « ما مِنْ أَهْلِ قَرْيَةٍ يَبيتُ فيهِمْ جائِعٌ يَنْظُرُ اللهُ تَعالىٰ إلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ »[٢].

أرأيتم اهتمام النبيّ ﷺ بالجار الفقير ، وإنّ من قيم الإسلام رعايته والعناية به ، وإزالة كابوس الفقر عنه .

---

(١) المعجم الكبير : ١ : ٢٥٩ ، الرقم ٧٥١ . كنز العمّال : ٩ : ٥٣ ، ٢٤٩٠٦ . مجمع الزوائد : ٨ : ١٦٧ .

(٢) وسائل الشيعة : ١٢ : ١٣٠ .

سِيرَةُ أَهْلِ الْبَيْتِ عليهم السلام مَعَ الْفُقَرَاءِ

الإمام علي عليه السلام

الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أبو الفقراء ، وصديق البائسين والمحرومين ، وملاذ الأرامل والأيتام ، ففي ظلاله عليه السلام أفاض عليهم المودّة والرحمة ، وقابلهم بالمودّة والحنان ، وسدّ عليهم نوافذ الفقر والجوع .

إنّ الإنسانيّة في جميع تاريخها لم نشاهدها كما هي أيّام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، قد تبنّى مصالح الفقراء ، ودافع عن حقوقهم ، وحاول جاهداً اجتثاث الفقر ومحو وجوده ، وإزالة آثاره .

وهذه نفحات من آرائه وأقواله في الفقر والفقراء .

قال عليه السلام : « **الْفَقْرُ الْمَوْتُ الأَكبَرُ** »[1] .

الفقر هو الكارثة الكبرى المدمّرة لحياة الإنسان ، والقاضية على أهدافه وميوله .

ومن أقواله عليه السلام : « **الْبُخْلُ عارٌ ، والْجُبْنُ مَنْقَصَةٌ ، والفَقْرُ يُخرِسُ الْفَطِنَ عَنْ حُجَّتِهِ ، والْمُقِلُّ غَرِيبٌ في بَلْدَتِهِ** »[2] .

---

(١) نهج البلاغة : ٤ : ٤١ .

(٢) نهج البلاغة : ٤ : ٦٥ . دستور معالم الحكم : ٢٠ .

الفقر يزجّ الإنسان في متاهات سحيقة من الانحراف عن القيم الكريمة ويلقيه في شرّ عظيم.

جوع الفقير

تحدّث الإمام عليه السلام عن سبب جوع الفقير ومنشأه، قال: «**إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ فَرَضَ فِي أَمْوَالِ الْأَغْنِيَاءِ أَقْوَاتَ الْفُقَرَاءِ؛ فَمَا جَاعَ فَقِيرٌ إِلَّا بِمَا مُتِّعَ بِهِ غَنِيٌّ، وَاللهُ تَعَالَىٰ سَائِلُهُمْ عَنْ ذٰلِكَ**»(١).

ألقت هذه الكلمة الأضواء على سبب جوع الفقير، وأنّه ناجم من منع الأغنياء لدفع ما عليهم من الضرائب التي فرضها الله تعالى للفقراء، ومن المؤكّد أنّها لو دفعت لهم حسب ما أمر الله تعالى فإنّه لا يبقى أي ظلّ للجوع والحرمان، وهذه الكلمة من مناهج الاقتصاد الإسلامي.

مواساة الإمام عليه السلام للفقراء

والشيء البارز في سياسة الإمام عليه السلام مواساته للفقراء والضعفاء في جشوبة العيش، وقد أعلن ذلك بقوله: **أَأَقْنَعُ مِنْ نَفْسي بِأَنْ يُقالَ هٰذَا أَميرُ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا أُشارِكُهُمْ في مَكارِهِ الدَّهْرِ، أَوْ أَكُونَ أُسْوَةً لَهُمْ في جُشُوبَةِ الْعَيْشِ!**

وَلَعَلَّ بِالْحِجازِ أَوِ الْيَمامَةِ مَنْ لَا طَمَعَ لَهُ في الْقُرْصِ، وَلَا عَهْدَ لَهُ بِالشِّبَعِ ـ أَوْ أَبِيتَ مِبْطاناً وَحَوْلي بُطُونٌ غَرْثَىٰ وَأَكْبادٌ حَرَّىٰ، أَوْ أَكُونَ كَما قالَ الْقائِلُ:

وَحَسْبُكَ داءً أَنْ تَبِيتَ بِبِطْنَةٍ ... وَحَوْلَكَ أَكْبادٌ تَحِنُّ إِلَى الْقِدِّ(٢)

---

(١) نهج البلاغة: ٤: ٧٨.

(٢) نهج البلاغة: ٣: ٧٢.

وليس في تاريخ الإسلام وغيره حاكم واسى الفقراء في آلامهم وبؤسهم سوى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام رائد العدل والحقّ في الأرض .

برّه عليه السلام بالأيتام

واسى الإمام الأيتام في آلامهم ، وكان لهم كالأب البارّ ، وقد روى المؤرّخون صوراً من برّه بهم كان منها أنّه نظر إلى امرأة في الطريق على كتفها قربة ماء ، وكانت مجهدة لا تقوى على حملها ، فبادر إليها الإمام فأخذ القربة منها وحملها إلى منزلها ، وسألها عن حالها ، فقالت : إنّ عليّاً بعث زوجي إلى بعض الثغور فاستشهد فيها وترك صبياناً يتامى ، وليس عندي شيء أقوتهم به ، فألجأتني الضرورة إلى خدمة الناس .

وانصرف الإمام بعد أن أوصلها إلى منزلها وهو مثقل بالغمّ ، وبات ليلته قلقاً مضطرباً ، فلمّا أصبح حمل زنبيلاً فيه طعام للأيتام ، فرآه بعض شيعته فطلب منه مساعدته في حمله عنه ، فامتنع من إجابته ، وقال له : **مَنْ يَحْمِلُ وُزْرِي عَنّي يَوْمَ الْقِيامَةِ** .

ومضى نحو بيت الأيتام ، فقرع الباب ، فخرجت له المرأة وقالت له : مَن أنت ؟

- **أنا الْعَبْدُ الَّذي حَمَلَ مَعَكِ الْقِرْبَةَ ، افْتَحِي الْبابَ فَإِنَّ مَعي طَعاماً لِلْأَيْتامِ** .

ودعت له المرأة قائلة : رضي الله عنك ، وحكم بيني وبين عليّ بن أبي طالب .

وقال لها : **إنّي أَحْبَبْتُ اكْتِسابَ الثَّوابِ ، فَاخْتارِي بَيْنَ أَنْ تَعْجِنينَ الْخُبْزَ وَبَيْنَ مُساكَتَةِ الْأَطْفالِ** ، فاختارت المرأة الخبز .

وانبرى الإمام إلى اللحم فطبخه وجعل يطعم الأطفال اللحم والتمر ويقول

لهم : **اجْعَلُوا عَلِيَّ بْنَ أَبي طالِبٍ في حِلٍّ مِمّا مَرَّ عَلَيْكُمْ** .

وطلبت المرأة منه أن يسجر لها التنّور ، فبادر إلى سجره ، وأخذ لهيب النار يعلو عليه وهو يقول : **هٰذا جَزاءُ مَنْ ضَيَّعَ الْأَرامِلَ وَالْأَيْتامَ** .

ودخلت امرأة من الجيران على المرأة ، وكانت تعرف الإمام ، فصاحت بها : ويحك ! هذا أمير المؤمنين .

فذهلت المرأة وقالت : وا حيائي منك يا أمير المؤمنين .

وسارع الإمام قائلاً : **وا حَيائِي مِنْكِ يا أَمَةَ اللهِ فيما قَصَّرْتُ مِنْ أَمْرِكِ** »[١] .

أرأيتم هذا العطف والحنان على الأيتام!

وكان من برّه ﷺ بهم أنّه يطعمهم العسل بيده ، وقد قال إنّه ما رزئ بشيء مثل ما رزئ بالأيتام .

لقد تبنّى ﷺ الأيتام والأرامل ، وأغدق عليهم ببرّه وعطفه وحنانه .

وصاياه ﷺ لولاته بمراعاة الفقراء

ومن أهمّ البنود التي عهد لولاته بتنفيذها مراعاة الأيتام والفقراء ، وذوي السن ممّن لا حيلة لهم ، انظروا إلى هذه الفقرات من عهده للزعيم مالك الأشتر .

قال ﷺ : « **ثُمَّ اللهَ اللهَ في الطَّبَقَةِ السُّفْلَىٰ مِنَ الَّذِينَ لَا حِيلَةَ لَهُمْ ، مِنَ الْمَساكِينِ وَالْمُحْتاجِينَ وَأَهْلِ الْبُؤْسَىٰ[٢] وَالزَّمْنَىٰ[٣] ، فَإِنَّ في هٰذِهِ الطَّبَقَةِ قانِعاً[٤]**

---

(١) مناقب ابن شهرآشوب : ٢ : ١١٥ . بحار الأنوار : ٤١ : ٥٢ .

(٢) البؤسى: شدّة الفقر والحاجة .

(٣) الزمنى: ذوو العاهات .

(٤) القانع : السائل .

وَمُعْتَرّاً[١] ، وَاحْفَظْ للهِ ما اسْتَحْفَظَكَ مِنْ حَقِّهِ فِيهِمْ ، وَاجْعَلْ لَهُمْ قِسْماً مِنْ بَيْتِ مالِكَ ، وَقِسْماً مِنْ غَلَّاتِ صَوافي[٢] الإِسْلامِ في كُلِّ بَلَدٍ ، فَإِنَّ لِلْأَقْصَىٰ مِنْهُمْ مِثْلَ الَّذي لِلْأَدْنَىٰ ، وَكُلٌّ قَدِ اسْتُرْعِيتَ حَقَّهُ ؛ فَلا يَشْغَلَنَّكَ عَنْهُمْ بَطَرٌ[٣] . فَإِنَّكَ لَا تُعْذَرُ بِتَضْييعِكَ التّافِهَ[٤] لِإِحْكَامِكَ الْكَثِيرَ الْمُهِمَّ . فَلا تُشْخِصْ هَمَّكَ عَنْهُمْ ، وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لَهُمْ .

وَتَفَقَّدْ أُمُورَ مَنْ لَا يَصِلُ إِلَيْكَ مِنْهُمْ مِمَّنْ تَقْتَحِمُهُ الْعُيُونُ[٥] ، وَتَحْقِرُهُ الرِّجالُ ؛ فَفَرِّغْ لِأُولئِكَ ثِقَتَكَ[٦] مِنْ أَهْلِ الْخَشْيَةِ وَالتَّواضُعِ ، فَلْيَرْفَعْ إِلَيْكَ أُمُورَهُمْ ، ثُمَّ اعْمَلْ فِيهِمْ بِالْإِعْذارِ إِلَىٰ اللهِ يَوْمَ تَلْقاهُ . فَإِنَّ هٰؤُلَاءِ مِنْ بَيْنِ الرَّعِيَّةِ أَحْوَجُ إِلَىٰ الْإِنْصافِ مِنْ غَيْرِهِمْ ، وَكُلٌّ فَأَعْذِرْ إِلَىٰ اللهِ في تَأْدِيَةِ حَقِّهِ إِلَيْهِ .

وَتَعَهَّدْ أَهْلَ الْيُتْمِ وَذَوِي الرِّقَّةِ في السِّنِّ[٧] مِمَّنْ لَا حِيلَةَ لَهُ ، وَلَا يَنْصِبُ لِلْمَسْأَلَةِ نَفْسَهُ ، وَذٰلِكَ عَلَىٰ الْوُلَاةِ ثَقِيلٌ ، والْحَقُّ كُلُّهُ ثَقِيلٌ ؛ وَقَدْ يُخَفِّفُهُ اللهُ عَلَىٰ أَقْوامٍ طَلَبُوا الْعاقِبَةَ فَصَبَّرُوا أَنْفُسَهُمْ ، وَوَثِقُوا بِصِدْقِ مَوْعُودِ اللهِ لَهُمْ »[٨] .

من المؤكّد أنّ هذه الوثيقة التي حكت سياسة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام مع

---

(١) المعترّ: الذي يسأل الناس .

(٢) الصوافي ـ جمع صافية ـ : وهي الأرض التي غنمها المسلمون .

(٣) البطر: الطغيان .

(٤) التافه: القليل .

(٥) تقتحمه العيون : أي تحتقره .

(٦) فَفَرِّغْ لِأُولئِكَ ثِقَتَكَ : يعني انتخب أشخاصاً ممّن يخافون الله تعالى لينظروا في أحوالهم وشؤونهم حتّى لا يضيع أحد من المواطنين .

(٧) المتقدّمون في العمر .

(٨) نهج البلاغة : ٤٣٨ .

الفقراء تمثّل القيم الإسلاميّة ، وتحكي ما قنّنه الإسلام من الحقوق والرعاية للبؤساء والفقراء ، ولم تقنّن مثلها ـ أو قريباً منها ـ منظّمة حقوق الإنسان ، وإنّ الواجب على ولاة المسلمين ترجمة هذه الوثيقة وعرضها على ساسة الغرب الذين لا يؤمنون بالإسلام .

وأكّد الإمام في رسالة له لبعض عمّاله على ضرورة مساعدة الفقراء والنظر في شؤونهم ، قال عليه السلام : « وَإِنَّ لَكَ في هٰذِهِ الصَّدَقَةِ نَصِيباً مَفْرُوضاً ، وَحَقّاً مَعْلُوماً ، وَشُرَكاءَ أَهْلَ مَسْكَنَةٍ ، وَضُعَفاءَ ذَوِي فاقَةٍ ، وَإِنّا مُوَفُّوكَ حَقَّكَ . فَوَفِّهِمْ حُقُوقَهُمْ ، وَإِلَّا تَفْعَلْ فَإِنَّكَ مِنْ أَكْثَرِ النّاسِ خُصُوماً يَوْمَ الْقِيامَةِ ، وَبُؤْسىٰ لِمَنْ ـ خَصْمُهُ عِنْدَ اللهِ ـ الْفُقَرَاءُ وَالْمَساكِينُ وَالسّائِلُونَ وَالْمَدْفُوعُونَ ، وَالْغارِمُونَ وابْنُ السَّبِيلِ ! وَمَنِ اسْتَهانَ بِالْأَمانَةِ ، وَرَتَعَ في الْخِيانَةِ ، وَلَمْ يُنَزِّهْ نَفْسَهُ وَدِينَهُ عَنْها . فَقَدْ أَحَلَّ بِنَفْسِهِ الذُّلَّ والْخِزْيَ في الدُّنْيا ، وَهُوَ في الْآخِرَةِ أَذَلُّ وَأَخْزَىٰ »(١) .

ومن وصيّة له عليه السلام : « فَأَمّا الصَّدَقَةُ فَجُهْدَكَ جُهْدَكَ حَتّىٰ تَقولَ قَدْ أَسْرَفْتُ ، وَلَمْ تُسْرِفْ »(٢) .

مع عامله عليه السلام على البصرة

وكان سهل بن حنيف عامله على البصرة ، وقد أقام له بعض وجهائها وليمة دعي لها الأشراف ، ولم يكن للفقير فيها نصيب ، ولمّا بلغ الإمام ذلك وجّه له رسالة عتب ونقد جاء فيها :

« أَمّا بَعْدُ ، يابْنَ حُنَيْفٍ : فَقَدْ بَلَغَني أَنَّ رَجُلاً مِنْ فِتْيَةِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ دَعاكَ إِلى مَأْدُبَةٍ

(١) بحار الأنوار : ٣٣ : ٥٢٩ .

(٢) وسائل الشيعة : ٩ : ٣٧٩ ، الباب ٦ من أبواب الصدقة ، الحديث ١ .

فَأَسْرَعْتَ إِلَيْهَا تُسْتَطَابُ لَكَ الْأَلْوانُ ، وَتُنْقَلُ إِلَيْكَ الْجِفانُ . وَما ظَنَنْتُ أَنَّكَ تُجِيبُ إِلىٰ طَعامِ قَوْمٍ ، عائِلُهُمْ مَجْفُوٌّ ، وَغَنِيُّهُمْ مَدْعُوٌّ . فَانْظُرْ إِلىٰ ما تَقْضَمُهُ مِنْ هٰذا الْـمَقْضَمِ ، فَما اشْتَبَهَ عَلَيْكَ عِلْمُهُ فَالْفِظْهُ ، وَما أَيْقَنْتَ بِطِيبِ وُجُوهِهِ فَنَلْ مِنْهُ »[١].

حكى هذا المقطع مدى اهتمام الإمام بالفقراء ومراعاته عليه السلام لهم . فقد أنكر على سهل الإجابة للوليمة لأنّه قد دعي لها الأغنياء ولم يدعى إليها الفقراء .

الحثّ على الصدقة

حثّ الإمام عليه السلام على الصدقة للفقراء ، ولأنّها تقوم بإسعافهم ورفع غائلة الجوع عنهم ، وهذه بعض أحاديثه :

قال عليه السلام : « اسْتَنْزِلُوا الرِّزْقَ بِالصَّدَقَةِ »[٢].

وقال عليه السلام : « إِذَا أَمْلَقْتُمْ فَتَاجِرُوا اللهَ بِالصَّدَقَةِ »[٣].

وقال عليه السلام : « الصَّدَقَةُ دَوَاءٌ مُنْجِحٌ »[٤].

إنفاق الإمام عليه السلام في رحاب القرآن

أُثرت في كتاب الله تعالى كوكبة من الآيات في الإشادة بإنفاق الإمام عليه السلام من المبرّات في سبيل الله تعالى ، كان منها :

قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾ .

---

(١) نهج البلاغة : ٣ : ٧٠.

(٢) بحار الأنوار : ١٠ : ٩٩. وسائل الشيعة : ٩ : ٣٧٠ ، الباب ١ من أبواب الصدقة ، الحديث ١١.

(٣) البصائر والذخائر : ٣٧ . نهج البلاغة : الحكمة ٢٥٨. وسائل الشيعة : ٩ : ٣٧٢ ، الباب ١ من أبواب الصدقة ، الحديث ٢٠.

(٤) نهج البلاغة : ٤ : ٤ ، الحديث ٧.

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾[١].

وقوله تعالى: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾[٢]

وقوله تعالى: ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللهِ ﴾ إلى قوله: ﴿ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[٣].

وقوله تعالى: ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً ﴾[٤].

وقوله تعالى: ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ ﴾[٥].

وقوله تعالى: ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ﴾[٦].

إنفاق الإمام عليه السلام في ظلال السنّة

هناك الكثير من الأخبار والروايات التي تتحدّث عن إنفاق الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في سبيل الله، وفيما يلي نشير إلى بعضها:

■ عن محمّد بن الصمّة، عن أبيه، عن عمّه، قال: « رأيت في المدينة رجلاً على ظهره قربة، وفي يده صحفة يقول: اللّٰهُمَّ وَلِيَّ الْمُؤْمِنِينَ، وَإِلٰهَ الْمُؤْمِنِينَ،

---

(١) المائدة ٥: ٥٥.

(٢) الحشر ٥٩: ٩.

(٣) النور ٢٤: ٣٧ و ٣٨.

(٤) الإنسان ٧٦: ٨ و ٩.

(٥) البقرة ٢: ٢٧٣.

(٦) البقرة ٢: ٢٦٥.

وَجارَ الْمُؤْمِنينَ ، إقْبَلْ قُرْبانِيَ اللَّيْلَةَ ، فَما أَمْسَيْتُ أَمْلِكُ سِوىٰ ما في صَحْفَتي وَغَيْرَ ما يُوارِيني ، فَإِنَّكَ تَعْلَمُ أَنّي مَنَعْتُهُ نَفْسي مَعَ شِدَّةِ سَغَبي في طَلَبِ الْقُرْبَةِ إِلَيْكَ غَنَماً . اللّهُمَّ ، فَلا تُخْلِقْ وَجْهي ، وَلَا تَرُدَّ دَعْوَتي ، فأتيته حتّى عرفته ، فإذا هو عليّ بن أبي طالب ، فأتى رجلاً فأطعمه »[١] .

■ عن الحارث الهمداني ، قال : « سامرت أمير المؤمنين عليه السلام فقلت : يا أمير المؤمنين ، عرضت لي حاجة .

قال : فَرَأَيْتَني لَها أَهْلاً ؟

قلت : نعم ، يا أمير المؤمنين .

قال : جَزاكَ اللهُ عَنّي خَيْراً ، ثمّ قام إلى السراج فأغشاها وجلس . ثمّ قال : إِنَّما أَغْشَيْتُ السِّراجَ لِئَلا أَرىٰ ذُلَّ حاجَتِكَ في وَجْهِكَ ، فَتَكَلَّمْ فَإِنّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله يَقولُ : الْحَوائِجُ أَمانَةٌ مِنَ اللهِ في صُدورِ الْعِبادِ ، فَمَنْ كَتَمَها كُتِبَ لَهُ عِبادَةٌ ، وَمَنْ أَفْشاها كانَ حَقّاً عَلىٰ مَنْ سَمِعَها أَنْ يُعينَهُ »[٢] .

■ عن محمّد بن الحنفيّة ، قال : « كان أبي يدعو قنبراً بالليل فيحمّله دقيقاً وتمراً ، فيمضي به إلى أبيات قد عرفها ، ولا يطّلع عليها أحداً ، فقلت له : يا أبه ، ما يمنعك أن تدفع إليهم نهاراً ؟

قال : يا بُنَيَّ ، إِنَّ الصَّدَقَةِ السِّرَّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ »[٣] .

■ عن الأصبغ بن نباتة ، عن عليّ عليه السلام أنّه جاءه رجل فقال : يا أمير المؤمنين ،

---

(١) مناقب ابن شهرآشوب : ٢ : ٧٦ .

(٢) فروع الكافي : ٤ : ٢٤.

(٣) ربيع الأبرار : ٢١٠.

إنّ لي إليك حاجة ، فرفعتها إلى الله قبل أن أرفعها إليك . فإن أنت قضيتها حمدت الله وشكرتك ، وإن أنت لم تقضها حمدت الله وعذرتك .

فقال عليّ : **اُكْتُبْ حاجَتَكَ عَلَى الْأَرْضِ ، فَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ أَرىٰ ذُلَّ السُّؤالِ في وَجْهِكَ .**

فكتب : إنّي محتاج .

فقال عليّ : **عَلَيَّ بِحِلَّةٍ** ، فأتي بها ، فأخذها الرجل فلبسها ثمّ أنشأ يقول :

كَسَوتَني حِلَّةً تَبْلىٰ مَحاسِنُها ... فَسَوفَ أَكْسوكَ مِنْ حُسْنِ الثَّنا حِلَلا
إنْ نِلْتَ حُسْنَ ثَنائي مَكرمةً ... وَلَسْتُ أَبْغي بِما قَدْ قُلْتُهُ بَدَلا
إنَّ الثَّناءَ لَيُحْيي ذِكْرَ صاحِبِهِ ... كَالْغَيْثِ يُحْيي نَداهُ السَّهْلَ وَالْجَبَلا
لَا تَزْهَدِ الدَّهْرَ في خَيرٍ تُواقِعُهُ ... فَكُلُّ عَبْدٍ سَيُجْزىٰ بِالَّذي عَمِلا

فقال عليّ : **عَلَيَّ بِالدَّنانير** ، فأُتي بمائة دينار ، فدفعها إليه .

قال الأصبغ : فقلت : يا أمير المؤمنين ، حلّة ومائة دينار !

قال : **نَعَمْ ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقولُ : أَنْزِلوا النّاسَ مَنازِلَهُمْ ، وَهٰذِهِ مَنْزِلَةُ هٰذا الرَّجُلِ عِنْدي**[١] .

■ عن أبي الطفيل ، قال : « رأيت عليّاً ﷺ يدعو اليتامى فيطعمهم العسل ، حتّى قال بعض أصحابه : لوددت أنّي كنت يتيماً »[٢] .

من أقوال الإمام ﷺ في الفقر

قال ﷺ لابنه محمّد بن الحنفيّة : «**يا بُنَيَّ ، إنِّي أَخافُ عَلَيْكَ الْفَقْرَ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ**

(١) البداية والنهاية : ٨ : ١٠ .

(٢) بحار الأنوار : ٤١ : ٢٩ .

مِنْهُ ، فَإِنَّ الْفَقْرَ مَنْقَصَةٌ لِلدِّينِ ، مَدْهَشَةٌ لِلْعَقْلِ ، داعِيَةٌ لِلْمَقْتِ ! »(١).

وقال ﷺ : «فَمَنْ آتاهُ اللهُ مالاً فَلْيَصِلْ بِهِ الْقَرابَةَ ، وَلْيُحْسِنْ مِنْهُ الضِّيافَةَ ، وَلْيَفُكَّ بِهِ الْأَسِيرَ وَالْعانِيَ ، وَلْيُعْطِ مِنْهُ الْفَقِيرَ وَالْغارِمَ ، وَلْيَصْبِرْ نَفْسَهُ عَلَى الْحُقُوقِ والنَّوائِبِ ابْتِغاءَ الثَّوابِ ، فَإِنَّ فَوْزاً بِهٰذِهِ الْخِصالِ شَرَفُ مَكارِمِ الدُّنْيا ، وَدَرْكُ فَضائِلِ الْآخِرَةِ ؛ إِنْ شاءَ اللهُ »(٢).

وقال ﷺ : « الْغِنَىٰ في الْغُرْبَةِ وَطَنٌ ، والْفَقْرُ في الْوَطَنِ غُرْبَةٌ »(٣).

وقال ﷺ لجابر بن عبد الله الأنصاري : « يا جابِرُ ، قِوامُ الدِّينِ والدُّنْيا بِأَرْبَعَةٍ : عالِمٍ مُسْتَعْمِلٍ عِلْمَهُ ، وَجاهِلٍ لا يَسْتَنْكِفُ أَنْ يَتَعَلَّمَ ، وَجَوادٍ لا يَبْخَلُ بِمَعْرُوفِهِ ، وَفَقِيرٍ لا يَبِيعُ آخِرَتَهُ بِدُنْياهُ ؛ فَإِذا ضَيَّعَ الْعالِمُ عِلْمَهُ اسْتَنْكَفَ الْجاهِلُ أَنْ يَتَعَلَّمَ ، وَإِذا بَخِلَ الْغَنِيُّ بِمَعْرُوفِهِ باعَ الْفَقِيرُ آخِرَتَهُ بِدُنْياهُ .

يا جابِرُ ، مَنْ كَثُرَتْ نِعَمُ اللهِ عَلَيْهِ كَثُرَتْ حَوائِجُ النّاسِ إِلَيْهِ ، فَمَنْ قامَ للهِ فِيها بِما يَجِبُ فِيها عَرَّضَها لِلدَّوامِ والْبَقاءِ ، وَمَنْ لَمْ يَقُمْ فِيها بِما يَجِبُ عَرَّضَها لِلزَّوالِ وَالْفَناءِ »(٤).

وقال ﷺ ـ أيضاً ـ في وصيّته : « اللهَ اللهَ في الْفُقَراءِ وَالْمَساكينِ ، فَشارِكُوهُمْ في مَعايِشِكُمْ »(٥).

---

(١) نهج البلاغة : ٤ : ٧٦ ، الحديث ٣١٩.

(٢) نهج البلاغة : ٢ : ٢٤ ، الخطبة ١٤٢.

(٣) نهج البلاغة : ٣ : ٧٠.

(٤) وسائل الشيعة : ١٦ : ٣١٦.

(٥) فروع الكافي : ٧ : ٥٢.

الزّهراء عليها السلام

أمّا سيّدة نساء العالمين زهراء الرسول صلى الله عليه وآله فهي بقيّة النبوّة ، ومعدن الرحمة ، وسيّدة القانتات العابدات عفّة وطهارة وإيماناً بقيم النبوّة ، وتفانياً في نصرة الإسلام ، والذبّ عن قيمه وأهدافه .

لقد سكب النبيّ صلى الله عليه وآله في نفس بضعته مكوّناته النفسيّة ومقوّماته الروحيّة حتّى صارت أسمى مثل عنه تحكيه في قيمه وجهاده ، فقد انبرت بروح أبيها إلى ساحة الجهاد في الذبّ عن الإسلام يوم زاغت الأبصار ، وانقلب المسلمون على أعقابهم وولّوا الدبر ، وظهرت فيهم حسيكة النفاق ، وسمل جلباب الدين ، ونطف كاظم الغاوين ـ على حدّ تعبير الصدّيقة عليها السلام ـ .

وفي تلك المحن الحازبة والأيّام السود أقامت بضعة الرسول صلى الله عليه وآله صروح الإسلام ، وأنارت الطريق ، وسلبت الشرعيّة عن الحكم القائم الذي لم يستند إلى ركن وثيق ، وإنّما كان فلتة على حدّ تعبير أبرز أعمدته .

إنّ الإسلام المستمدّ من أهل البيت عليهم السلام بأحكامه وشرائعه وحكمه وآدابه ، قد أقامته بضعة الرسول صلى الله عليه وآله في خطبها وفي وصاياها التي أدلت بها في الساعات الأخيرة من حياتها ، فهي المؤسّسة والبانية لعرش مذهب أهل البيت عليهم السلام ، فما أعظم عائدتها عليهم وعلى شيعتهم .

إنّ الصديقة الطاهرة سلام الله عليها كانت المثل الأعلى لكلّ فضيلة ومكرمة يمتاز بها الكائن الحيّ من بني الإنسان ، ونتحدّث بإيجاز عن بعض فضائلها

التي ترتبط بإحسانها للفقراء .

صور من برّها عليها السلام بالفقراء

١ ـ كانت سيّدة النساء تطحن الحبّ من الحنطة والشعير لضعفاء جيرانها الذين يعجزون عن الطحن حتّى مجلت يداها من الرحى .

٢ ـ ومن برّها بجيرانها الفقراء العاجزين أنّها كانت تجلب لهم الماء بقربة تأتي به من بعض آبار المدينة .

٣ ـ أهدى رسول الله صلى الله عليه وآله لبضعته ليلة زواجها ثوباً جديداً ، وفي اليوم الثاني جاء النبيّ صلى الله عليه وآله ليبارك زواج بضعته فلم ير عليها الثوب الذي أهداه لها ، ورآها ترتدي ثوباً عادياً فقال لها : **يا بَضْعَةَ رَسُولِ اللهِ ، لَمْ أَرَ الثَّوْبَ الَّذي أَهْدَيْتُهُ لَكِ ؟**

فأجابته : **جاءَتْني فَتاةٌ مِنَ الأَنْصارِ لَيْسَ عِنْدَها ثَوْبٌ تَلْبَسُهُ ، فَخَلَعْتُهُ وَقَدَّمْتُهُ لَها لأَنَّهُ مِنَ الإِنْفاقِ الَّذي أُحِبُّهُ ، وَالَّذِي نَدَبَ إِلَيْهِ الْقُرْآنُ بِقَوْلِهِ : ﴿ لَن تَـنَالُوا الْـبِرَّ حَـتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾**(١) .

فبهر النبيّ صلى الله عليه وآله وأثنى عليها ودعا لها(٢) .

٤ ـ من مبرّات سيّدة النساء للفقراء ما رواه جابر بن عبدالله الأنصاري ، قال : « صلّى بنا رسول الله صلى الله عليه وآله صلاة العصر ، فلمّا انفتل جلس في القبلة والناس حوله ، فأقبل شيخ طاعن في السنّ يشكو الجوع قائلاً : يا نبيّ الله ، أنا جائع فأطعمني ، وعاري فاكسني .

وأمره رسول الله صلى الله عليه وآله بالمضيّ إلى بيت بضعته ، فانطلق الشيخ حتّى أتى بيت

---

(١) آل عمران ٣ : ٩٢ .

(٢) حياة سيّدة النساء فاطمة الزهراء : ٦٤ .

الزهراء عليها السلام فقال لها : يا بنت محمّد ، أنا عاري الجسد ، جائع ، فواسيني يرحمك الله .

وكانت بضعة الرسول في ضائقة اقتصاديّة لا تملك ما تسعف به الشيخ سوى جلد كبش ينام عليه ولداها الحسن والحسين عليهما السلام ، فقالت له : **خُذْ هـٰذا أيُّها الشَّيْخُ** ، فزهد فيه وردّه .

وعمدت سيّدة النساء إلى عقد كان في عنقها فنزعته وأهدته إليه ، وكان قد أهدته لها فاطمة بنت عمّها حمزة بن عبدالمطّلب ، فأخذه الشيخ وهو فرح بهذه الهديّة وأقبل نحو النبيّ صلى الله عليه وآله فقال له : أعطتني فاطمة هذا العقد ، وقالت : **بِعْهُ عَسى اللهُ أنْ يُعَوِّضَكَ بِهِ خَيْراً** .

ولمّا رآه النبيّ صلى الله عليه وآله بكى وقال للشيخ : **وَكَيْفَ لا يَصْنَعُ اللهُ بِكَ خَيْراً وَقَدْ أَعْطَتْهُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ سَيِّدَةُ بَناتِ آدَمَ** .

وانبرى عمّار فقال : يا رسول الله ، أتأذن لي بشراء هذا العقد ؟

فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله **اشْتَرِهِ يا عَمّارُ فَلَوِ اشْتَرَكَ فِيهِ الثَّقَلانِ ما عَذَّبَهُمُ اللهُ بِالنّارِ**

فانبرى عمّار صوب الشيخ وقال له : بكم تبيع هذا العقد ؟

بادر الشيخ قائلاً : بشبعة من الخبز واللحم ، وبردة يمانيّة أستر بها عورتي ، وأصلّي فيها لربّي ، ودينار يبلغني إلى أهلي .

وانبرى عمّار فقدّم له أضعاف ما أراد قائلاً : لك عشرون ديناراً ، ومائتا درهم هجريّة ، وبردة يمانيّة ، وراحلة تبلغك إلى أهلك ، وشبعك من اللحم والخبز .

وفرح الشيخ وقال له : ما أسخاك بالمال أيّها الرجل .

وقدّم له عمّار ما قال له ، وراح الشيخ يدعو لسيّدة النساء فاطمة قائلاً : **اللّٰهُمَّ أَعْطِ فاطِمَةَ ما لا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ** .

وأخذ عمّار العقد من الشيخ فطيّبه بالمسك ، ولفّه في بردة يمانيّة ، وأعطاه بيد عبد له وقال له : أعطه إلى رسول الله ﷺ وأنت معه . ومضى العبد إلى رسول الله ﷺ وسلّمه العقد ، فأمره النبيّ أن يمضي به إلى سيّدة النساء ، ومضى العبد إلى سيّدة النساء فقدّم لها العقد فأخذته وأعتقت العبد ، فضحك .

فقالت له سيّدة النساء : **ما يُضْحِكُكَ يا غُلام**

- أضحكني بركة هذا العقد ، أشبع جائعاً ، وكسا عرياناً ، وأغنى فقيراً ، وأعتق عبداً ، ورجع إلى صاحبه »[١] .

٥ - من المبرّات التي اشتركت فيها بضعة الرسول مع زوجها وصيّ رسول الله وباب مدينة علمه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وولديها السبطين الحسن والحسين عليهما السلام لهما وجاريتها فضّة ، وقد نالت المبرّة ثناء الله تعالى وتخليدها في سورة من كتابه وهي سورة هل أتى ، وتفصيل هذه المبرّة أنّ الإمام الحسن والإمام الحسين عليه السلام مرضا ، فبادر الرسول ﷺ مع كوكبة من أصحابه لعيادتهما ، وعرضوا على الإمام أمير المؤمنين أن ينذر لله صوماً إذا عافاهما ، فنذر الإمام صوم ثلاثة أيّام ، وتابعته سيّدة النساء وجاريتها فضّة في هذا النذر .

ولمّا أبل الحسنان من المرض صاموا جميعاً ، ولم يملك الإمام شيئاً من المال ليشتري به طعاماً لإطعامهم ، فاستقرض ثلاثة أصواع من الشعير ، فعمدت الصدّيقة إلى طحن صاع منه ، فطحنته وخبزته ، ولمّا حان وقت الإفطار طرق الباب مسكين يستميحهم الطعام ، فعمدوا جميعاً إلى هبة قوتهم له ، وطووا ليلتهم لم يتناولوا من الطعام شيئاً .

وفي اليوم الثاني قامت سيدّة النساء إلى صاع فطحنته وخبزته ، ولمّا حان وقت

---

(١) إعلموا أنّي فاطمة ٩ : ٢٦٦ ، نقلناه بتصرّف .

الإفطار وإذا بيتيم قد أضناه الجوع ، فطرق الباب طالباً إسعافه ، فتبرّعوا جميعاً بطعامهم ولم يتناولوا شيئاً سوى الماء .

وفي اليوم الثالث طحنت بضعة الرسول سلام الله عليها ما بقي من الطعام وخبزته ، ولمّا حان وقت الإفطار وإذا بأسير طرق الباب طالباً إسعافه بشيء من الطعام ، فتبرّعوا جميعاً بطعامهم له .

أي مبرّة تساوي هذا الإيثار ؟

وفي اليوم الرابع جاء رسول الله ﷺ لزيارتهم فرآهم قد ارتعدت أجسامهم من الضعف ، وذابت من الجوع ، فصاح الرسول : **واغَوْثاهُ أَهْلُ بَيْتِ مُحَمَّدٍ يَمُوتونَ جِياعاً** .

وهبط جبرائيل على النبيّ وهو يحمل آيات التقدير لأهل بيته على هذا الإيثار ، ومنحهم وسام شرف لا يوصف ولا يقدّر لعظمته ، لقد جزاهم الله تعالى بما صبروا جنّة وحريراً ، متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً[١] .

لقد حباهم الله تعالى برضوانه ، وأخلد لهم الأجر والجزاء الذي لا نهاية له .

وبهذا نطوي الحديث عن بعض مبرّات الصدّيقة الطاهرة .

---

(١) ذهب جمهور المفسّرين للقرآن وغيرهم أنّ سورة هل أتى نزلت في أهل البيت عليهم السلام نصّ على ذلك الرازي في تفسيره : ١٠ : ٢٢٤٣ ، والواحدي في أسباب النزول : ١٣٣ ، وجاء ذلك في روح البيان : ٦ : ٥٤٦ ، والدرّ المنثور : ٦ : ٢٩٦ ، وامتاع الأسماع : ٥٠٢ ، ينابيع المودّة : ١ : ٩٣ .

الإمام الحسن عليه السلام

أمّا الإمام الحسن الزكيّ عليه السلام فهو من أبرّ الناس بالفقراء ، ومن أكثرهم عطفاً وحناناً عليهم ، وكان يجد في الإنفاق عليهم متعة لا تعدلها أيّة متعة ، وقد نقل الرواة صوراً كثيرة من برّه ، وهذه شذرات منها :

١ - وفد عليه أعرابي فقير يطلب رفده ، فقال عليه السلام : **« اعْطُوهُ ما في الْخِزانَةِ »** ، وكان فيها عشرة آلاف درهم .

فقال له الأعرابي : هلّا تركتني أبوح بحاجتي وأنشر مدحتي .

فأجابه الإمام :

نَحْنُ أُناسٌ نَوالُنا خَضِلٌ يَرْتَعُ فِيهِ الرَّجاءُ وَالأَمَلُ
تَجُودُ قَبْلَ السُّؤالِ أَنْفُسُنا خَوفاً عَلى ماءِ وَجْهِ مَنْ يَسَلُ
لَوْ يَعْلَمُ البَحْرُ فَضْلَ نائِلِنا لَغاضَ مِنْ بَعْدِ فَيْضِهِ خَجِلُ[1]

لقد كانت سجيّة الإمام إسعاف الفقراء من قبل أن يدلوا بحاجتهم رعاية لهم وحفظاً على ماء وجوههم .

٢ - ومن برّه أنّه اجتاز في بعض أزقّة المدينة ، فسمع شخصاً يسأل الله تعالى أن يرزقه عشرة آلاف درهم ، فانطلق إلى منزل وبعثها إليه[2] .

---

(١) أعيان الشيعة : ١ : ٥٧٨ .

(٢) الطبقات الكبرى للشعراني : ١ : ٢٣ . إسعاف الراغبين : ١٧٧ .

لقد كان الكرم من عناصره النفسيّة ومن ذاتيّاته التي كانت ملازمة له طوال حياته عليه السلام.

٣ - اجتاز الإمام الزكيّ على غلام أسود، بين يديه رغيف يأكل منه لقمة ويدفع لقمة أخرى إلى كلب بجانبه. فسأله الإمام قائلاً: **ما حَمَلَكَ عَلىٰ ذٰلِكَ؟**

- إنّي لأستحي أن آكل ولا أطعمه.

فقال الإمام له: **لَا تَبْرَحْ مَكانَكَ**. ثمّ انطلق فاشتراه من مولاه واشترى الحائط[1] الذي هو فيه، فأعتقه وملّكه إيّاه[2].

لقد رأى الإمام في هذا الغلام خصلة شريفة من أحبّ الخصال إليه، وهي الكرم، فأحبّ أن يجازيه وينمّي في نفسه هذه الظاهرة الكريمة.

٤ - ومن برّه وإحسانه أنّه اشترى حائطاً من الأنصار بأربعمائة ألف، وبلغه أنّ الذين باعوه احتاجوا إلى ما في أيدي الناس، فردّه إليهم[3].

لقد أنقذهم من ذلّ السؤال، وردّ شرفهم إليهم، وهذا من أفضل ألوان المعروف.

٥ - جاءه شخص يشكو الفقر، فقال له الإمام: **ما هٰذا حَقُّ سُؤالِكَ، يَعْظُمُ لَدَيَّ مَعْرِفَتي بِما يَجِبُ لَكَ. وَيَكْبُرُ عَلَيَّ وَيَدايَ تَعْجَزُ عَنْ نَيْلِكَ بِما أَنْتَ أَهْلُهُ، وَالْكَثيرُ في ذاتِ اللهِ تَعالىٰ قَليلٌ، وَما في مُلْكي وَفاءٌ لِشُكْرِكَ، فَإِنْ قَبِلْتَ مِنّا الْمَيْسُورَ، وَرَفَعْتَ عَنّا مَؤُونَةَ الْإِحْتِفالِ وَالْإِهْتِمامِ فَعَلْتَ.**

فأجابه الرجل: يابن رسول الله ﷺ، أقبل القليل، وأشكر العطيّة، وأعذر

---

(١) **الحائط**: البستان.

(٢) البداية والنهاية: ٨: ٣٨.

(٣) إسعاف الراغبين: ١٧٦.

على المنع .

فأحضر عليه السلام وكيله وحاسبه ، وقال له : **هاتِ الْفاضِلَ مِنَ الْمالِ** ، وكان الفاضل خمسين ألف درهم ، فدفعها إليه .

ولم يكتف عليه السلام بذلك ، بل قال لوكيله : **ما فَعَلْتَ بِالْخَمْسِ مائَةِ دينارٍ الَّتي عِنْدَكَ ؟**

فقال : هي عندي ، فأمره بإحضارها ثمّ دفعها إلى الرجل وهو يعتذر منه[1] .

إنّ هذه المكارم مستمدّة من أخلاق جدّه الرسول صلى الله عليه وآله الذي طوّق الدنيا بنبله وجوده .

٦ ـ إنّ السخاء من ذاتيّات الإمام الزكيّ الحسن عليه السلام ، يقول الرواة : « إنّه ما قال لسائل (لا) قطّ »[2] .

٧ ـ قيل للإمام الزكيّ أبي محمّد عليه السلام : لأي شيء لا نراك تردّ سائلاً قطّ ؟

فأجاب عليه السلام : **إنّي للهِ سائِلٌ ، وَفيهِ راغِبٌ ، وَأَنا أَسْتَحي أَنْ أَكُونَ سائِلاً وَأَرُدَّ سائِلاً . وَإِنَّ اللهَ عَوَّدَني عادَةً أَنْ يُفيضَ نِعَمَهُ عَلَيَّ ، وَعَوَّدْتُهُ أَنْ أُفيضَ نِعَمَهُ عَلَى النّاسِ ، فَأَخْشىٰ إِنْ قَطَعْتُ الْعادَةَ أَنْ يَمْنَعَني الْعادَةَ** » ، وأنشأ يقول :

إذا ما أتاني سائِلٌ قُلتُ مَرْحَباً   بِمَنْ فَضْلُهُ فَرْضٌ عَلَيَّ مُعَجَّلُ

---

(١) دائرة المعارف للبستاني : ٧ : ٣٩ . إحياء العلوم للغزالي : ٣ : ١٧١ ، وزاد فيه : « أنّه عليه السلام قال للرجل : **هاتِ مَنْ يَحْمِلُ هٰذِهِ الْأَمْوالَ** ، فأتاه بحمّالين فدفع عليه السلام رداءه لكراء الحمّالين .

فقال له مواليه : يابن رسول الله ، والله ما عندنا درهم .

فقال عليه السلام لهم : **أَرْجو أَنْ يَكونَ لي عِنْدَ اللهِ أَجْرٌ عَظيمٌ** » .

(٢) الطبقات الكبرى للشعراني : ١ : ٢٣ . جوهرة الكلام للقراغولي : ١١٢ .

وَمَنْ فَضْلُهُ فَضْلٌ عَلى كُلِّ فاضِلٍ   وَأَفْضَلُ أَيّامِ الْفَتى حِينَ يُسْأَلُ[١]

إنّه من معدن النبوّة التي أفاضت الخير والبرّ والإحسان على المستضعفين والمعذّبين .

٨ - ومن مبرّاته أنّه خرج مع أخيه الإمام الحسين وعبدالله بن جعفر وافدين إلى بيت الله الحرام ، وفي أثناء الطريق أصابهم جوع وعطش ، وقد سبقتهم أثقالهم . فانعطفوا على بيت قد ضرب أطنابه في وسط تلك البيداء القاحلة . فلمّا وصلوا إلى البيت لم يروا فيه إلّا عجوزاً ، فطلبوا منها شراباً وطعاماً ، فأجابت بما طبعت عليه نفس الكريم قائلة : نعم .

إنّها النفس إذا جبلت على الخير وطبعت فيها الأريحيّة قدّمت في سبيل العزّ والمجد كلّ ما تملك . لم يك عند العجوز سوى شاة هي كلّ ما تملك ممّا أظلّته الخضراء وأقلّته الغبراء . فتقدّمت وبيدها الشاة قائلة لهم : دونكم هذه الشاة ، فاحلبوها واشربوا لبنها . فلمّا فعلوا ذلك تقدّمت إليهم مرّة أخرى قائلة : أقسم عليكم إلّا ما ذبحها أحدكم حتّى أهيّئ لكم الحطب لشيّها ، ففعلوا ذلك ، وهيّأت العجوز الحطب . وبعد الفراغ من تناول الطعام عزموا على الرحيل ، فتقدّموا إليها وعرّفوها بشخصيّاتهم ليجازوها على صنعها خيراً إن رجعوا إلى وطنهم ، قائلين : **يا أَمَةَ اللهِ ، إنّا نَفَرٌ مِنْ قُرَيْشٍ نُريدُ حَجَّ بَيْتِ اللهِ الْحَرامِ ، فَإذا رَجَعْنا سالِمينَ فَهَلُمّي إلَيْنا لِنُكافِئَكِ عَنْ هٰذَا الصُّنْعِ الْجَميلِ .**

ثمّ انصرفوا لشأنهم . ولمّا عنّ غياب القرص عن السماء أقبل ربّ البيت على عادته ، فأخبرته العجوز بالقصّة ، فاستولى عليه الغضب ، ذلك لأنّ الشاة

---

(١) نور الأبصار : ١١١ .

هي مصدر القوت وإدرار الرزق عليهم ، فقال لها : ويحك ! أتذبحين الشاة لأناس لا تعرفينهم ؟ ثمّ تقولين إنّهم نفر من قريش .

وطوى الدهر عجلته ، فمضت سنة وأقبلت أخرى ، فاعترت البادية أزمة شديدة لأنّ السماء قد منعتها قطرها حتّى قلّت موارد العيش ، وانعدمت أسباب القوت ، فرحلا عن البادية ونزلا المدينة ، ولم يجدا عملاً يحيطان به خبراً سوى التقاط البعر من الطرقات والشوارع ، فاتّخذا ذلك مهنة لهما .

وفي يوم من الأيّام وهما على عملهما أرادت السعادة أن تحنو عليهما ، فلمح الحسن عليه السلام العجوز فعرفها ، وقد حلّ وفاء الدين ، والمعروف في ذمّة الأحرار دين ، فأمر عليه السلام غلامه أن يأتي بها إليه ، فلمّا مثلت بين يديه ، قال عليه السلام لها : **أَتَعْرِفيني يا أَمَةَ اللهِ ؟**

- لا .

- **أنا أَحَدُ ضُيوفِكِ يَوْمَ كَذا ، سَنَةَ كَذا .**

- لست أعرفك .

- **إنْ لَمْ تَعْرفيني فَأَنا أَعْرِفُكِ** ، ثمّ أمر عليه السلام غلامه فاشترى لها من غنم الصدقة ألف شاة ، وأعطاها ألف دينار ، ثمّ أمر عليه السلام غلامه أن يذهب بها إلى أخيه الحسين عليه السلام ويعرّفه بها ، فأخذها الغلام ، فلمّا دخلت عرفها الحسين عليه السلام ، فقال للغلام : كم أعطاها أخي ؟ فأخبره الغلام بعطائه ، فوصلها عليه السلام بمثل ذلك ، ثمّ بعث الحسين بها إلى عبدالله بن جعفر ، فلمّا دخلت عليه عرفها ، فأمر لها بألفي شاة وألفي دينار ، فأخذت ذلك جميعاً وانصرفت[1] وقد تغيّر حالها من فقر

---

(١) إحياء العلوم للغزالي : ٣ : ١٧٣ . دائرة المعارف للبستاني : ٧ : ٣٩ .

مدقع إلى غناء وثروة حسدها عليه كلّ من عرفها ، كلّ ذلك من برّ الحسن ﷺ وفضله .

٩ ـ وروى الصدوق بإسناد معتبر عن الصادق ﷺ ، قال : « إنَّ رَجُلاً مَرَّ بِعُثْمانِ بْنِ عَفّانَ وَهُوَ قاعِدٌ عَلىٰ بابِ الْمَسْجِدِ ، فَسَأَلَهُ ، فَأَمَرَ لَهُ بِخَمْسَةِ دَراهِمَ . فَقالَ لَهُ الرَّجُلُ : أَرْشِدْني ؟

فَقالَ لَهُ عُثْمانُ : دونَكَ الْفِتْيَةَ الَّذينَ تَرىٰ ، وَأَوْمىٰ بِيَدِهِ إِلىٰ ناحِيَةٍ مِنَ الْمَسْجِدِ فيها الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ وَعَبْدُاللهِ بْنُ جَعْفَرٍ . فَمَضَى الرَّجُلُ نَحْوَهُمْ حَتّىٰ سَلَّمَ عَلَيْهِمْ وَسَأَلَهُمْ .

فَقالَ لَهُ الْحَسَنُ : يا هٰذا ، إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لا تَحِلُّ إِلّا في إِحْدىٰ ثَلاثٍ : دَمٌ مُفْجِعٌ ، أَوْ دَيْنٌ مُقْرِحٌ ، أَوْ فَقْرٌ مُدْقِعٌ ، فَفي أَيِّها تَسْأَلُ ؟

فَقالَ : في واحِدَةٍ مِنْ هٰذِهِ الثَّلاثِ . فَأَمَرَ لَهُ الْحَسَنُ بِخَمْسينَ دِيناراً ، وَأَمَرَ لَهُ الْحُسَيْنُ بِتِسْعَةٍ وَأَرْبَعينَ دِيناراً ، وَأَمَرَ لَهُ عَبْدُاللهِ بْنُ جَعْفَرٍ بِثَمانِيَةٍ وَأَرْبَعينَ دِيناراً ، فَانْصَرَفَ الرَّجُلُ فَمَرَّ بِعُثْمانَ ، فَقالَ لَهُ : ما صَنَعْتَ ؟

فَقالَ : مَرَرْتُ بِكَ فَسَأَلْتُكَ فَأَمَرْتَ لي بِما أَمَرْتَ وَلَمْ تَسْأَلْني فيما أَسْأَلُ ، وَإِنَّ صاحِبَ الْوَفْرَةِ لَمّا سَأَلْتُهُ قالَ لي : يا هٰذا ، فيمَ تَسْأَلُ ، فَإِنَّ الْمَسْأَلَةَ لا تَحِلُّ إِلّا في إِحْدىٰ ثَلاثٍ . فَأَخْبَرْتُهُ بِالْوَجْهِ الَّذي أَسْأَلُهُ مِنَ الثَّلاثَةِ . فَأَعْطاني خَمْسينَ دِيناراً ، وَأَعْطاني الثّاني تِسْعَةً وَأَرْبَعينَ دِيناراً ، وَأَعْطاني الثّالِثُ ثَمانِيَةً وَأَرْبَعينَ دِيناراً .

فَقالَ عُثْمانُ : وَمَنْ لَكَ بِمِثْلِ هٰؤُلاءِ الْفِتْيَةِ ، أُولٰئِكَ فُطِموا الْعِلْمَ فَطْماً ، وَحازوا الْخَيْرَ وَالْحِكْمَةَ »[1] .

---

(١) الخصال : ١٣٥ ، الحديث ١٤٩ .

١٠ ـ «مرّ الحسن بن عليّ عليهما السلام على فقراء وقد وضعوا كسيرات على الأرض وهم قعود يلتقطونها ويأكلونها ، فقالوا له : هلمّ يابن بنت رسول الله إلى الغداء .

فنزل وقال : إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ، وجعل يأكل معهم حتّى اكتفوا والزاد على حاله ببركته ، ثمّ دعاهم إلى ضيافته وأطعمهم وكساهم»[١] .

(١) مناقب ابن شهرآشوب : ٣ : ١٨٧ .

الإمام الحسين عليه السلام

الإمام الحسين عليه السلام فخر الإسلام ، وزعيم الإنسانيّة ، وسيّد الأحرار ، وإمام المصلحين ، الذي تبنّى حقوق المظلومين والمضطهدين ، وجاهد أعظم ما يكون الجهاد من أجل أن يقيم في الشرق العربي وغيره حكومة القرآن وعدالة الإسلام .

تعالت نهضة أبي الأحرار ، وبوركت شهادته التي حمت المسلمين من الغزو الجاهلي الذي تبنّته العصابة الأمويّة ، واستهدفت محق الإسلام ، وتدمير أرصدته وقيادته الروحيّة والزمنيّة .

وقد تسلّمت هذه العصابة قيادة الأُمّة بدعم صريح وواضح من نظام الشورى الذي كان من أوّليات نظامه إبعاد أهل البيت عليهم السلام عن المسرح السياسي ، وتسليم قيادة الأمّة إلى الأمويّين الذين تركّزت سياستهم على اتّخاذ مال الله تعالى دولاً ، وعباده خولاً .

وانبرى إليهم أبو الأحرار بعزمه الجبّار ، فرفع راية الثورة على الظلم والجور والفساد حتّى استشهد سلام الله عليه مع الكوكبة التي هي من خيار المؤمنين والصالحين من الأسرة النبويّة والممجّدين من أصحابه .

وقد أمدّت هذه الثورة المباركة العالم الإسلامي بالوعي والتمرّد على الظلم والطغيان ، حتّى تلاحقت الثورات الشعبيّة يتبع بعضها بعضاً ، حتّى أطاحت بالحكم الأموي ، وهدّمت عروش الجبابرة ، وولّوا منهزمين في مزبلة التاريخ .

وعلى أي حال ، كان الإمام الحسين عليه السلام منبع رحمة ، ومصدر فيض وعطاء للأمّة ، وكان من فيوضاته في أيّام حياته العطف على الفقراء ، ومواساة البؤساء في آلامهم ، وجشوبة عيشهم ، فكان كأبيه صديق المحرومين ، وملجأ الأيتام والبائسين ، وهذه لمحات من إحسانه وبرّه بالفقراء وصلاته لهم .

البرّ بالفقراء

وهذه كوكبة من الفقراء الذين أسعفهم الإمام الحسين عليه السلام وأنقذهم من غائلة الجوع والحرمان ، منهم :

أُسامة بن زيد

مرض أُسامة بن زيد ، فعاده الإمام الحسين عليه السلام ، فقال أُسامة : وا غمّاه .

فقال له الحسين عليه السلام : **ما غَمُّكَ ؟**

قال : ديني ، وهو ستون ألفاً .

فقال الحسين عليه السلام : **هُوَ عَلَيَّ .**

قال : أخشى أن أموت قبل أن يقضى .

فقال الحسين عليه السلام : **لَنْ تَمُوتَ حَتَّى أَقْضِيَها عَنْكَ .**

وبادر الإمام الحسين عليه السلام فقضاها عنه قبل موته ، وكان يقول عليه السلام : **شَرُّ خِصالِ الْمُلُوكِ الْجُبْنُ مِنَ الْأَعْداءِ ، وَالْقَسْوَةُ عَلَى الضُّعَفاءِ ، وَالْبُخْلُ عِنْدَ الْإِعْطاءِ**[1] .

وغضّ طرفه عن أُسامة الذي كان من المتخلّفين عن بيعة أبيه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، فلم يقابله بالمثل ، وأغدق عليه بفيض من برّه وإحسانه .

---

(١) مناقب آل أبي طالب : ٤ : ٦٥ . أعيان الشيعة : ١ : ٥٧٩ .

مع سائل

وفد سائل على الإمام الحسين عليه السلام ، فقرع باب الدار ورفع عقيرته قائلاً :

لَمْ يَخِبِ الْيَوْمَ مَنْ رَجاكَ وَمَنْ ... حَرَّكَ مِنْ خَلْفِ بابِكَ الْحلَقَهْ
أَنْتَ ذُو الْجُودِ أَنْتَ مَعدِنُهُ ... أَبُوكَ قَدْ كانَ قاتِلَ الْفَسَقَهْ

وخرج الإمام إلى الأعرابي ، فرأى عليه آثار الفاقة والبؤس ، فنادى قنبراً : **ما تَبَقّىٰ مِنْ نَفَقَتِنا ؟**

قال : مائتا درهم أمرتني بتفريقها في أهل بيتك .

فقال : **هاتِها فَقَدْ أَتىٰ مَنْ هُوَ أَحَقُّ بِها مِنْهُمْ** .

فأخذها ودفعها إلى السائل معتذراً منه وأنشد هذه الأبيات :

« خُذْها وَإِنّي إِلَيْكَ مُعْتَذِرٌ ... وَاعْلَمْ بِأَنّي عَلَيْكَ ذُو شَفَقَهْ
لَوْ كانَ في سَيْرِنا عَصاً تُمَدُّ إِذاً ... كانَتْ سَمانا عَلَيْكَ مُنْدَفِقَهْ
لكِنَّ رَيْبَ الْمَنُونِ ذُو نَكَدٍ ... وَالْكَفُّ مِنّا قَلِيلَةُ النَّفَقَهْ »

فأخذها الأعرابي شاكراً وداعياً له بالخير ، وانبرى مادحاً له :

مُطَهَّرُونَ نَقِيّاتٌ جُيُوبُهُمُ ... تَجْرِي الصَّلاةُ عَلَيْهِم أَيْنَما ذُكِرُوا
وَأَنْتُمُ أَنْتُمُ الأَعْلَونَ عِنْدَكُمُ ... عِلْمُ الْكِتابِ وَمَا جاءَتْ بِهِ السُّوَرُ
مَنْ لَمْ يَكُنْ عَلَوِيّاً حِينَ تَنْسِبُهُ ... فَما لَهُ في جَمِيعِ النّاسِ مُفْتَخَرُ[١]

---

(١) أعيان الشيعة : ١ : ٥٧٩ . تاريخ مدينة دمشق : ١٤ : ١٨٥ .

مع غارم

وفد غارم إلى المدينة يطلب مساعدة في دية لم يتمكّن من أدائها ، فقصد عبدالله بن الزبير ، وعرض عليه حاجته ، فأعطاه مائتي درهم ، فردّها عليه .

وقصد عتبة بن أبي سفيان ، فأعطاه مائة درهم ، فرفضها لأنّها لا تفي بحاجته .

واتّجه صوب الإمام الحسين عليه السلام ، فعرض عليه مسألته ، فأمر له بعشرة آلاف درهم ، وقال له : **هٰذِهِ لِقَضاءِ دُيُونِكَ** ، وأمر له بعشرة آلاف درهم أخرى وقال له : **هٰذِهِ تَلُمُّ بِها شَعْثَكَ ، وَتُحْسِنُ بِها حالَكَ ، وَتُنْفِقُ بِها عَلىٰ عِيالِكَ** ، فاستولت على الأعرابي موجات من السرور واندفع يقول :

طَـرِبْتُ وَمَا هاجَ لِي مَعْبَقُ ... وَلَا لِـي مَـقامٌ وَلَا مَـعْشَقُ
وَلٰـكِـنْ طَـرِبْتُ لآلِ الرَّسُولِ ... فَـلَذَّ لِـيَ الشِّـعْرُ وَالمَنْطِقُ
هُمُ الأَكْـرَمُونَ هُـمُ الأَنْـجَبُونَ ... نُـجُومُ السَّـماءِ بِـهِمْ تُشْـرِقُ
سَبَقْتَ الأَنامَ إِلَـى المَكْـرُماتِ ... وَأَنْتَ الجَــوادُ فَـلَا تُـلْحَقُ
أَبُوكَ الَّـذِي سـادَ بِـالمَكْرُماتِ ... فَـقَصَّرَ عَـنْ سَـبقِهِ السُّـبَّقُ
بِـهِ فَـتَحَ اللهُ بـابَ الرَّشـادِ ... وَبـابُ الفَسـادِ بِكُـمْ مُـغْلَقُ(١)

الإمام الحسين عليه السلام معدن الكرم ، ومنبع الجور ، وملاذ الفقراء ، وملجأ المحرومين في حياته ، وكذلك مرقده مأوى لكلّ ملهوف . يقول الجواهري :

تَعالَيْتَ مِنْ مَفْزَعٍ لِلْحُتوفِ ... وَبُـورِكَ قَـبْرُكَ مِـنْ مَـفْزَعِ
تَـلوذُ الدُّهـورُ بِـهِ فَـمِنْ ... سُجَّدٍ عَلىٰ جانِبَيْهِ وَمِنْ رُكَّعِ

---

(١) أعيان الشيعة : ١ : ٥٨٠ .

مع أعرابي

وفد أعرابي أديب على الإمام الحسين عليه السلام ، فسلّم عليه وقال له : سمعت جدّك صلى الله عليه وآله يقول : **إذَا سَأَلْتُمْ حاجَةً فَاسْأَلُوها مِنْ أَرْبَعَةٍ ، إمّا عَرَبيٍّ شَريفٍ ، أَوْ مَولىً كَريمٌ ، أَوْ حامِلِ الْقُرْآنِ ، أَوْ صاحِبُ وَجْهٍ صَبيحٍ** . فأمّا العرب فشرفت بجدّك ، وأمّا الكرم فدأبكم وسيرتكم ، وأمّا القرآن ففي بيوتكم نزل ، وأمّا الوجه الصبيح فَإنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : **إذا أَرَدْتُمْ أَنْ تَنْظُرُوا إلَيَّ فَانْظُرُوا إلَى الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ** .

فقال له الحسين عليه السلام : **ما حاجَتُكَ ؟**

فكتبها الأعرابي على الأرض . فقال له الحسين عليه السلام : **سَمِعْتُ أَبِي عَلِيّاً يَقُولُ : الْمَعْرُوفُ بِقَدَرِ الْمَعْرِفَةِ ، فَأَسْأَلُكَ عَنْ ثَلاثِ مَسائِلَ إنْ أَجَبْتَ عَنْ واحِدَةٍ فَلَكَ ثُلُثُ ما عِنْدِي ، وَإنْ أَجَبْتَ عَنِ اثْنَتَيْنِ فَلَكَ ثُلُثا ما عِنْدي ، وَإنْ أَجَبْتَ عَنِ الثَّلاثِ فَلَكَ كُلُّ ما عِنْدِي . وَقَدْ حُمِلَتْ إلَيَّ صُرَّةٌ مِنَ الْعِراقِ .**

فقال الأعرابي : سَلْ عَمّا بدا لك ، فإن أجبت وإلّا تعلّمت منك ، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله .

فقال الإمام الحسين عليه السلام : **أيُّ الْأَعْمالِ أَفْضَلُ ؟**

فقال الأعرابي : الإيمان بالله .

فقال الحسين عليه السلام : **ما نَجاةُ الْعَبْدِ مِنَ الْهَلَكَةِ ؟**

فقال الأعرابي : الثقة بالله .

فقال الحسين عليه السلام : **ما يُزينُ الْمَرْءَ ؟**

فقال الأعرابي : علم معه حلم .

فقال الحسين عليه السلام : **فَإِنْ أَخْطَأَهُ ذلِكَ ؟**

فقال الأعرابي : مال معه مروءة .

فقال عليه السلام : **فَإِنْ أَخْطَأَهُ ذلِكَ ؟**

فقال : فقر معه صبر .

فقال الحسين عليه السلام : **فَإِنْ أَخْطَأَهُ ذلِكَ ؟**

فقال الأعرابي : فصاعقة تنزل من السماء تحرقه ، فإنّه أهل لذلك .

فضحك الإمام ورمى إليه بالصُّرة[1] .

وأخذها الرجل وقد تبدّلت حاله من العسر إلى اليسر ، وهكذا كان أبو الأحرار ملاذاً لكلّ بائس وفقير .

مع شخص من الأنصار

قصده شخص من الأنصار يريد أن يسأله ، فرقّ الإمام له وطلب منه أن يكتب حاجته دون أن يدلي بها بمنطقه تكريماً له قائلاً : « **يا أَخا الأَنْصارِ ، صُنْ وَجْهَكَ عَنْ ذُلِّ الْمَسْأَلَةِ ، وَارْفَعْ حاجَتَكَ في رُقْعَةٍ وَائْتِ بِها ، سَأَراكَ إِن شاءَ اللهُ** » .

فكتب إليه حاجته وهي : أنّ لفلان عليَّ خمسمائة دينار ، فكلّمه ينظرني إلى ميسرة .

ولمّا قرأ الإمام الرقعة دخل إلى منزله فأخرج منها صرّة فيها ألف دينار ، وقال له : **أَمّا خَمْسُمائَةٍ فَاقْضِ بِها دَيْنَكَ ، وَأَمّا خَمْسُمائَةٍ فَاسْتَعِنْ بِها عَلىٰ دَهْرِكَ ، وَلا تَرْفَعْ**

---

(١) بحار الأنوار : ٤٤ : ١٩٦ . أعيان الشيعة : ١ : ٥٧٩ . فضائل الخمسة من الصحاح الستّة : ٣ : ٣٣٢ و ٣٣٣ .

حاجَتَكَ إلّا إلىٰ ثَلاثَةٍ: ذي دِينٍ ، أَوْ مُرُوءَةٍ ، أَوْ حَسَبٍ[(١)].

لقد كان أبو الأحرار عليه السلام الشخص الوحيد في عصره الذي تشدّ إليه رحال البؤساء والفقراء ، فيغدق عليهم ببرّه وإحسانه ، ويزيل عنهم كابوس الفقر الجاثم عليهم .

ومن عظيم مبرّاته التي لا توصف بأيّ لون من ألوان البرّ أنّه لمّا قصد العراق استقبله الحرّ الرياحي في الطريق لإلقاء القبض عليه وقتاله ، ومعه ألف مقاتل ، وقد أشرفوا على الهلاك من شدّة الظمأ ، فأمر الإمام عليه السلام بسقيهم وسقي دوابّهم ، وكان فيهم شخص لا يحسن أن يشرب ، فنزل ورواه من العطش وسقى فرسه ، ولو تركهم الإمام عليه السلام ولم يسقهم لماتوا عطاشى ، وهؤلاء الأنذال قد جحدوا هذه النعمة وهذه المبرّة ، وتنكّروا لها ، فقد استولوا على حوض الفرات ، وحرموا الإمام وعائلته وأطفاله وأصحابه من الارتواء منه ، واستشهد الإمام عليه السلام مع أهل بيته وأصحابه وأبنائه ظماء قد صرعهم العطش قبل أن تصرعهم سيوف الأعداء .

هذا خلق الحسين عليه السلام الذي استمدّه من جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله ، وهذا خُلق أعدائه المستمدّ من أبي سفيان وابنه معاوية كسرى العرب .

---

(١) تحف العقول : ٢٤٧ .

الإمام السجاد عليه السلام

الإمام زين العابدين عليه السلام نسخة لا ثاني لها في تاريخ الإسلام عدا آبائه الذين أضاءوا الدنيا بعلومهم وتقواهم وعظيم إنابتهم لله تعالى .

لقد كان هذا الإمام العظيم كالسيّد المسيح في تقواه وورعه ، وكالنبيّ أيّوب في عظيم محنه وبلواه ، وكجدّه رسول الله صلى الله عليه وآله في صبره وعظيم حلمه ، وحسبه علوّاً أنّه وحده في تاريخ الإسلام لقّب بسيّد الساجدين ، وزين العابدين ، فقد قضى معظم حياته صائماً نهاره ، قائماً ليله ، تالياً لكتاب الله الكريم .

وقد احتفّ به العلماء ينتهلون من نمير علومه ، وقد تخرّج من مدرسته كوكبة من العلماء يزيدون على مائتي عالم ، ترجمناهم في كتابنا (حياة الإمام زين العابدين عليه السلام) .

وشيء مهمّ في سيرة هذا الإمام العظيم أنّه قاوم المدّ الجاهلي الذي تبنّته الحكومة الأمويّة التي جهدت على محق الإسلام وإشاعة الجهل والفساد ، فقد اتّخذت المدينة عاصمة النبيّ صلى الله عليه وآله مركزاً للغناء والرقص والمجون ، وقد قاوم ذلك بسلوكه وروحانيّته التي تضارع روحانيّة الأنبياء وبما بثّه من الأدعية التي سمّيت بالصحيفة السجّاديّة ، والتي هي إنجيل آل محمّد صلى الله عليه وآله ، ولم تكن تلك الأدعية مقتصرة على مناجاة الله تعالى فحسب ، وإنّما كانت منهجاً للتربية ، وقواعد الأخلاق والآداب والسياسة ، وهي من مناجم التراث الإسلامي ، ومن ذخائر أدعية أهل البيت عليهم السلام ، وكان ممّا أفاضه عليه السلام من العلوم كتابه رسالة

الحقوق ، وهو من أبدع وأجمل ما أُلّف في الحقوق العامّة والخاصّة .

إنّ الإمام زين العابدين عليه السلام من أعظم أئمّة المسلمين في مواهبه وعبقريّاته وسائر نزعاته ، فقد كان أنموذجاً فريداً في نزعاته وما وهبه الله تعالى من الصفات الرفيعة والمثل الكريمة ، والتي منها :

برّه عليه السلام بالفقراء

وكان من أهمّ ما يصبو إليه الإمام زين العابدين عليه السلام في حياته ، ومن أثمن رغباته الإحسان إلى الفقراء ، وإنقاذهم من كابوس البؤس والحرمان . وهذه شذرات من برّه بهم مع أحاديثه في الحثّ على مساعدتهم .

احترام الفقراء

كان الإمام زين العابدين عليه السلام يقابل الفقراء بمزيد من الحفاوة والتكريم ، ويقول الرواة : « إنّه إذا أعطى سائلاً قبّله لئلّا يرى عليه أثر الذلّ والحاجة »[١] .

وكان من تكريمه عليه السلام للفقير أنّه يقابله بالترحيب ويقول له : « **مَرْحَباً بِمَنْ يَحْمِلُ زادِي إلىٰ دارِ الْآخِرَةِ** »[٢] .

أرأيتم هذا الاحتفاء بالفقراء ، والعطف عليهم ، ومن المؤكّد أنّ ذلك يوجب تماسك المجتمع وشيوع المودّة والرحمة بين المسلمين .

إطعام الفقراء

ومن عطفه وحنانه عليه السلام على الفقراء أنّه كان يحضر على مائدته اليتامى والفقراء

---

(١) حلية الأولياء : ٣ : ١٣٧ .

(٢) صفة الصفوة : ٢ : ٥٣ .

والزمنى والمساكين من الذين لا حيلة لهم ، وكان يناولهم الطعام بيده[١].

كما كان يحمل لهم الطعام أو الحطب على ظهره حتّى يأتي به إلى بيوتهم فيناولهم إيّاه[٢].

مراعاة الفقراء

ومن مراعاته عليه السلام للفقراء أنّه كان يكره اجتذاذ ثمرة النخل بالليل ، وذلك لعدم حضور الفقراء في هذا الوقت ، فيحرمون من العطاء.

وقال عليه السلام لشخص جذّ نخلاً له في آخر الليل : « **لَا تَفْعَلْ ، أَلَا تَعْلَمُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلّى الله عليه وآله نَهىٰ عَنِ الْحَصادِ وَالْجُذاذِ بِاللَّيْلِ.**

وَكانَ يَقُولُ : الضِّغْثُ تُعْطيهِ مَنْ يَسْأَلُ فَذٰلِكَ حَقُّهُ يَوْمَ حَصادِهِ »[٣].

إعالته عليه السلام لمائة بيت

ومن فيض معروفه وبرّه عليه السلام بالفقراء أنّه كان يعول مائة بيت بالمدينة سرّاً[٤]. وكان في كلّ بيت جماعة من الناس[٥].

نهيه عليه السلام عن ردّ السائل

نهى الإمام عليه السلام أهل بيته عن ردّ السائل وحرمانه من العطاء ، فقد روى أبو

---

(١) بحار الأنوار : ٤٦ : ٦٢.

(٢) بحار الأنوار : ٤٦ : ٦٢ ، وقريب منه في دائرة المعارف للبستاني : ٩ : ٣٥٥.

(٣) وسائل الشيعة : ٦ : ١٣٨.

(٤) تهذيب الأسماء واللغات : ٣٤٣.

(٥) بحار الأنوار : ٤٦ : ٨٨.

حمزة الثمالي ، قال : « صلّيت مع عليّ بن الحسين الفجر بالمدينة يوم الجمعة . فلمّا فرغ من صلاته نهض إلى منزله وأنا معه ، فدعا مولاة له تسمّى سكينة ، فقال لها : **لَا يَعْبُرُ عَلىٰ بابي سائِلٌ إلّا أَطْعَمْتُموهُ ، فَإِنَّ الْيَوْمَ يَوْمُ جُمُعَةٍ .**

فقال له أبو حمزة : ليس كلّ من يسأل مستحقّاً .

فقال ﷺ : **أخافُ أَنْ يَكونَ بَعْضُ مَنْ يَسْأَلُنا مُسْتَحِقّاً فَلا نُطْعِمُهُ وَنَرُدُّهُ . فَيَنْزِلُ بِنا أَهْلَ الْبَيْتِ ما نَزَلَ بِيَعْقوبَ وَآلِهِ . أَطْعِموهُمْ ، أَطْعِموهُمْ . إِنَّ يَعْقوبَ كانَ يَذْبَحُ كُلَّ يَوْمٍ كَبْشاً فَيَتَصَدَّقُ مِنْهُ ، وَيَأْكُلُ مِنْهُ هُوَ وَعِيالُهُ ، وَإِنَّ سائِلاً مُؤْمِناً صَوّاماً مُسْتَحِقّاً لَهُ عِنْدَ اللهِ مَنْزِلَةٌ اجْتازَ عَلىٰ بابِ يَعْقوبَ يَوْمَ جُمُعَةٍ عِنْدَ أَوانِ إِفْطارِهِ ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ عَلىٰ بابِهِ : أَطْعِموا السّائِلَ الْغَريبَ الْجائِعَ مِنْ فَضْلِ طَعامِكُمْ ، وَهُمْ يَسْمَعونَهُ وَقَدْ جَهِلوا حَقَّهُ ، وَلَمْ يُصَدِّقوا قَوْلَهُ .**

فَلَمّا يَئِسَ مِنْهُمْ وَغَشِيَهُ اللَّيْلُ مَضىٰ عَلىٰ وَجْهِهِ ، وَباتَ طاوِياً يَشْكو جُوعَهُ إِلَى اللهِ ، وَباتَ يَعْقوبُ وَآلُ يَعْقوبَ شِباعاً بِطاناً ، وَعِنْدَهُمْ فَضْلَةٌ مِنْ طَعامِهِمْ .

فَأَوْحَى اللهُ إِلىٰ يَعْقوبَ في صَبيحَةِ تِلْكَ اللَّيْلَةِ لَقَدْ أَذْلَلْتَ عَبْدي ذِلَّةً اسْتَحْقَقْتَ بِها غَضَبي ، وَاسْتَوْجَبْتَ بِها أَدَبي ، وَنُزولَ عُقوبَتي وَبَلْواي عَلَيْكَ وَعَلىٰ وَلَدِكَ .

يا يَعْقوبُ ، أَحَبُّ أَنْبِيائِي إِلَيَّ ، وَأَكْرَمُهُمْ عَلَيَّ مَنْ رَحِمَ مَساكِينَ عِبادي ، وَقَرَّبَهُمْ إِلَيْهِ ، وَأَطْعَمَهُمْ ، وَكانَ لَهُ مَأْوىً وَمَلْجَأً .

يا يَعْقوبُ ، أَما رَحِمْتَ عَبْدِيَ الْمُجْتَهِدَ في عِبادَتِهِ ، الْقانِعَ بِالْيَسِيرِ مِنْ ظاهِرِ الدُّنْيا . أَما وَعِزَّتي لَأُنْزِلَنَّ بِكَ بَلْوايَ ، وَلَأَجْعَلَنَّكَ وَوَلَدَكَ غَرَضاً لِلْمَصائِبِ .

فقال أبو حمزة : فجعلت فداك ، متى رأى يوسف الرؤيا[1] ؟

---

(١) التي رأى فيها أحد عشر كوكباً والشمس والقمر له ساجدين .

قال عليه السلام : **في تِلْكَ اللَّيْلَةِ الَّتي باتَ فيها يَعْقوبُ وَآلِهِ شِباعاً ، وَباتَ السّائِلُ الْفَقيرُ طاوِياً جائِعاً** »[١] .

إنّ حرمان الفقير المحتاج وعدم إسعافه يوجب زوال النعمة وسخط الله ، وقد تظافرت الأخبار عن أئمّة الهدى عليهم السلام في الحثّ على إكرام الفقير وإسعافه خوفاً من غضب الله تعالى وسخطه .

وروى سعيد بن المسيّب : « حضرت عند عليّ بن الحسين يوماً حتّى صلّى الغداة ، فإذا سائل على الباب فقال عليه السلام : **أَعْطُوا السّائِلَ ، وَلا تَرُدُّوا السّائِلَ** »[٢] .

هكذا كانت سجيّته عليه السلام أن لا يردّ جائعاً ، وينعم عليه ، وينسيه مرارة الفقر ، وهذا من خُلق جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله الذي بُعث رحمة للعالمين .

صدقاته في السرّ

وكان أحبّ شيء لهذا الإمام العظيم الصدقة في السرّ لئلّا يعرفه أحد ، لأنّه أراد أن يجعل مبرّاته خالصة لوجه الله تعالى لا يعلم بها أحد ، وكان يقول : « **إِنَّها تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ** »[٣] .

وكان يخرج في غلس الليل البهيم فيصل الفقراء بهباته وعطاياه ، وهو متلثّم لئلا يعرفه أحد ، وقد اعتاد الفقراء على صلته لهم ، فكانوا يقفون على أبوابهم ينتظرونه ، فإذا جاء تباشروا وقالوا : جاء صاحب الجراب[٤] .

---

(١) دار السلام للنوري : ٢ : ١٤١ .

(٢) فروع الكافي : ٤ : ١٥ .

(٣) تذكرة الحفّاظ : ١ : ٧٥ . أخبار الدول : ١١٠ . نهاية الإرب : ٢١ : ٣٢٦ .

(٤) بحار الأنوار : ٤٦ : ٨٩ .

وكان له قرابة يأتيه الإمام بالليل فيصله شيئاً من الدنانير ، فيقول له العلويّ : إنّ عليّ بن الحسين لا يصلني ، ويدعو عليه . فيسمع الإمام ذلك ، ويغضي عنه . ولا يعرّفه بنفسه ، ولمّا توفّي الإمام فقد الصلة ، فعلم أنّ الذي يصله كان الإمام ، فكان يأتي إلى قبره باكياً معتذراً[(١)] .

وقال ابن عائشة : « سمعت أهل المدينة يقولون : ما فقدنا صدقة السرّ حتّى مات عليّ بن الحسين »[(٢)] .

وروى المؤرّخون : « أنّ جماعة من أهل المدينة كانوا يعيشون وهم لا يدرون من الذي يأتيهم بمعاشهم . فلمّا مات عليّ بن الحسين فقدوا ما كانوا يؤتونه بالليل »[(٣)] .

وكان عليه السلام شديد التكتّم في صلاته وهباته ، فكان إذا ناول أحداً شيئاً غطّى وجهه لئلا يعرفه[(٤)] .

ويقول الذهبي : « إنّه كان كثير الصدقة في السرّ »[(٥)] .

وكان عليه السلام يجعل الطعام الذي يوزّعه على الفقراء في جراب ويحمله على ظهره ، ولمّا غسّل بعد وفاته وجد على كتفه جلب كجلب البعير ، فقيل لأهله : ما هذه الآثار ؟

قالوا : إنّها من حمل الطعام الذي كان يحمله في الليل ويدور به على منازل

---

(١) بحار الأنوار : ٤٦ : ١٠٠ .

(٢) صفة الصفوة : ٢ : ٥٤ . الاتحاف بحبّ الأشراف : ٤٩ .

(٣) الأغاني : ١٥ : ٣٢٦ .

(٤) بحار الأنوار : ٤٦ : ٦٢ .

(٥) تذكرة الحفّاظ : ١ : ٧٥ .

الفقراء[١].

ولم تعرف الإنسانيّة مثل هذا الإمام العظيم في قيمه وبرّه وعطفه على الفقراء وسموّ ذاته ، فقد تنكّر للعظمة ، واتّجه صوب الله تعالى .

مقاسمة أمواله عليه السلام

قاسم أمواله عليه السلام فأخذ قسماً له ، وتصدّق بقسم آخر على الفقراء والمساكين ، وقد ضارع بذلك عمّه الزكيّ الإمام الحسن عليه السلام ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقد قاسم أمواله مرّتين أو ثلاثاً .

التصدّق بما يحبّ عليه السلام

كان عليه السلام يتصدّق بما يحبّ من الطعام . يقول الرواة : إنّه كان يتصدّق باللوز والسكّر ، فسئل عن ذلك فتلا قوله تعالى : ﴿ **لَن تَنَالُوا البِرَّ حَتَّى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ** ﴾[٢]»[٣].

وروى المؤرّخون من برّه عليه السلام أنّه كان يعجبه العنب ، وكان صائماً ، فقدّمت له جاريته عنقوداً من العنب وقت الإفطار ، فجاء سائل فأمر بدفعه إليه ، فبعثت من اشتراه منه وقدّمته إلى الإمام ، فطرق الباب سائل آخر فأمر بدفعه له ، فبعثت الجارية من اشتراه منه وقدّمته له ، وطرق سائل ثالث فدفعه الإمام له[٤].

وبهذه المبرّة ضارع آباءه الذين قدّموا قوتهم ثلاثة أيّام وهم صائمون إلى

---

(١) تاريخ اليعقوبي : ٣ : ٤٥ .

(٢) آل عمران ٣ : ٩٢ .

(٣) بحار الأنوار : ٤٦ : ٨٩ .

(٤) المحاسن للبرقي : ٥٤٧ . فروع الكافي : ٦ : ٣٥٠ .

المسكين واليتيم والأسير ، فأنزل الله تعالى في حقّهم سورة هل أتى التي بقيت وسام شرف لهم على امتداد الزمن .

التصدّق بثيابه عليه السلام

كان يلبس في الشتاء الخزّ ، فإذا جاء الصيف تصدّق به أو أمر ببيعه والتصدّق بثمنه ، وكان يلبس في الصيف ثوبين من متاع مصر ويتصدّق بهن إذا جاء الشتاء[١] .

وكان يقول : « **إِنِّي لَأَسْتَحِي مِنْ رَبِّي أَن آكُلَ ثَمَنَ ثَوْبٍ قَدْ عَبَدْتُ اللهَ فِيهِ** »[٢] .

مع محمّد بن اُسامة

مرض محمّد بن أسامة فعاده الإمام ، ولـمّا استقرّ به المجلس أجهش محمّد بالبكاء فقال له الإمام : **ما يُبْكِيكَ ؟**

- عليَّ دَين .
- **كَمْ هُوَ ؟**
- خمسة عشر ألف دينار .
- **هِيَ عَلَيَّ .**

ولم يقم الإمام من مجلسه حتّى دفعها له[٣] .

---

(١) تاريخ دمشق : ٤١ : ٣٩٩ .

(٢) ناسخ التواريخ : ١ : ٦٧ .

(٣) البداية والنهاية : ٩ : ١٠٥ . سير أعلام النبلاء : ٤ : ٢٣٩ . تاريخ الإسلام : ٢ : ٢٦٦ . حلية الأولياء : ٣ : ١٤١ .

لقد كان سليل النبوّة ممّن عناهم الله تعالى بقوله : ﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنّاً وَلَا أَذىً لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[١] .

حثّه عليه السلام على الصدقة

كان الإمام عليه السلام يحثّ أصحابه على الصدقة ويدعوهم إلى هذه المبرّة قائلاً : « ما مِنْ رَجُلٍ تَصَدَّقَ عَلىٰ مِسْكِيْنٍ مُسْتَضْعَفٍ فَدَعا لَهُ الْمِسْكِينُ بِشَيْءٍ فِي تِلْكَ السّاعَةِ إلّا اسْتُجِيبَ لَهُ »[٢] .

مع الزهريّ

كان الإمام عليه السلام قد حمل جراباً فيه بعض النقود والأمتعة ليوزّعها على الفقراء والمساكين . فرآه الزهري فبادر إليه الزهريّ قائلاً : يابن رسول الله . ما هذا ؟

وأجاب الإمام بصوت خافت : أُعِدُّ سَفَراً ، أُعِدُّ لَهُ زاداً أَحْمِلُهُ إلىٰ مَوْضِعٍ حَريزٍ .

- هذا غلامي يحمله عنك .

فامتنع الإمام من إجابته ، وتضرّع الزهري إليه أن يحمله هو بنفسه عنه ، إلّا أنّ الإمام أصرّ على ما ذهب إليه ، وقال له : وَلكِنّي لَا أَرْفَعُ نَفْسي عَمّا يُنْجيني في سَفَري ، وَيُحْسِنُ وُرودي عَلىٰ ما أَرِدُ عَلَيْهِ ، أَسْأَلُكَ بِحَقِّ اللهِ لَما مَضَيْتَ لِحاجَتِكَ .

وانصرف الزهري عن الإمام ، وبعد أيّام التقى به ، وقد ظنّ أنّه كان على جناح سفر ولم يع مراده ، فقال له : يابن رسول الله ، لست أرى لذلك السفر الذي

---

(١) البقرة ٢ : ٢٦٢ .

(٢) وسائل الشيعة : ٦ : ٢٩٦ .

ذكرته أثراً ؟

فأخبره عليه السلام بالسفر الذي أعدّ له العدّة ، وهيّأ له الجهاز اللازم ، إنّه السفر إلى دار الحقّ قائلاً : **يا زُهْرِيُّ ، لَيْسَ ما ظَـنَنْتَهُ ، وَلكِـنَّهُ الْـمَوْتُ ، وَلَـهُ كُـنْتُ أَسْـتَعِدُّ ، إِنَّما الْإِسْتِعْدادُ لِلْمَوْتِ تَجَنُّبُ الْحَرامِ ، وَبَذْلُ النَّدىٰ وَالْخَيْرِ** »[١] .

وهكذا كان سيّد المتّقين وإمام العابدين نسخة لا ثاني لها في تاريخ الإنسانيّة في تقواه وورعه وبرّه بالفقراء وإحسانه للمعوزين والمعذّبين .

تصفّحوا في تاريخ العظماء والمصلحين فهل تجدون مثل هذا الإمام العظيم الذي جسّد في سلوكه آداب الأنبياء وسيرة المرسلين .

---

(١) علل الشرائع : ١ : ٢٣١ . بحار الأنوار : ٤٦ : ٦٥ و ٦٦ ، وفيه : « **وَبَذْلُ النَّدىٰ في الْخَيْرِ** » .

الإمام الباقر عليه السلام

الإمام محمّد الباقر عليه السلام سليل النبوّة ، ومن أعلام أئمّة المسلمين في مواهبه وعبقريّاته ، وقيامه بدور إيجابي في تأسيس الحركة العلميّة ، وإشاعة العلم وبسطه بين الناس في وقت كان الجمود العلمي قد بسط أجنحته على معظم مناطق العالم الإسلامي ، قد سادت فيها الثورات الشعبيّة التي جهدت على إسقاط الحكم الأموي للتخلّص من ويلاته وآثامه .

وقد تولّى الإمام أبو جعفر عليه السلام عمادة مدرسة أهل البيت عليهم السلام ، فكان يلقي في بهو الجامع النبويّ محاضراته العلميّة التي لم تقتصر على أحكام الشريعة ، وتفسير القرآن الكريم والحديث ، وإنّما كانت شاملة وعامّة لجميع أنواع العلوم ، فقد روى المؤرّخون أنّ الوليد الحاكم العامّ للبلاد الإسلاميّة زار المدينة المقدّسة وبصحبته محافظ المدينة عمر بن عبدالعزيز ، وقصد زيارة المرقد النبويّ ، فرأى الإمام أبا جعفر على المنبر يلقي درساً ، وكانت محاضرته عن الفضاء الخارجي ، فبهر من ذلك وقال لعمر : إنّ أبا جعفر لم يكن درسه عن الكتاب والسنّة ، فأيّ علم هذا ؟

فأجابه عمر : إنّ محاضرات أبي جعفر تناولت أسرار الكون بأسره ، والذي منها دراسته عن الفضاء الخارجي .

وقد احتفّ به أعلام العلماء وهم ينتهلون من نمير علومه عليه السلام أمثال العالم الفقيه محمّد بن مسلم ، وزرارة بن أعين ، وأبان بن تغلب ، وغيرهم من عيون

الفقهاء ، وقد دوّنوا ما أخذوه عنه من العلوم خصوصاً علم الفقه ، وإليهم يرجع الفضل في تأسيس علم الفقه بأصوله وقواعده وفروعه . فقد دوّنوا ما أخذوه منه ومن ولده الإمام الصادق عليه السلام ، فكان ما دوّنوه أربعمائة مصنّف . وبذلك تأسّس فقه أهل البيت عليهم السلام الذي هو من أكثر ما قنّن في علم الفقه من المذاهب الإسلاميّة أصالة وإبداعاً .

ومن الجدير بالذكر أنّ الإمام الباقر عليه السلام أوصى ولده الصادق عليه السلام حال حضور وفاته أن يقوم بالإنفاق على العلماء من تلاميذه حتّى يتفرّغوا لتدوين العلم ونشره بين الناس .

وعلى أي حال ، فقد كان الإمام أبو جعفر عليه السلام من عظماء أئمّة أهل البيت عليهم السلام في علمه وتقواه ونكرانه للذات ، وتحرّجه في الدين كما كان من أبرّ الناس بالفقراء ، وأكثرهم صلة وإحساناً لهم بالرغم من ضيق معيشته ، فقد كان أقلّ أهل بيته مالاً وأعظمهم مؤونة .

ومع ذلك فقد كان من أعظم المحسنين ، وجاد بقوته لإنقاذ الفقراء من كارثة البؤس المدمّرة . وهذا عرض لبعض مبرّاته وصدقاته وإحسانه لأرحامه وللأيتام وغيرهم .

صلته عليه السلام لأرحامه

كان أبو جعفر عليه السلام كثير الصلة لأرحامه ، وقد حثّ عليها وذكر فوائدها وثمراتها .

قال عليه السلام : « **صِلَةُ الْأَرْحامِ تُزَكّـي الْأَعْـمالَ ، وَتُـنْمي الْأَمْـوالَ ، وَتَـدْفَعُ الْـبَلْوىٰ ، وَتُيَسِّرُ الْحِسابَ ، وَتُنْسِئُ في الْأَجَلِ** »(١) .

(١) أُصول الكافي : ٢ : ١٥٠ ، الحديث ٤ . تحف العقول : ٢٩٩ .

إنّ صلة الأرحام توجب تماسك الأسرة وترابطها ، وهي الخليّة الأولى في المجتمع ، فإذا صلحت وترابطت صلح المجتمع .

صلته عليه السلام لأصحابه

كان الإمام أبو جعفر عليه السلام كثير الصلة لتلاميذه العلماء ، وكان لا يملّ من صلتهم ، وصلة قاصديه وراجيه ومؤمّليه(١) .

وهذه الصفة هي السمت الخاصّ لجميع أئمّة أهل البيت عليهم السلام الذين طهّرهم الله تعالى وفضّلهم على جميع عباده .

صلته عليه السلام للأيتام

كان الإمام أبو جعفر عليه السلام كثير الصلة والبرّ بالأيتام ، وقد دعا الإمام أصحابه وأهل بيته إلى البرّ بهم وإلى الإحسان للضعفاء ، قال : « **أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فيهِ نَشَرَ اللهُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ ، وَأَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ في رَحْمَتِهِ : حُسْنُ خُلُقٍ يَعيشُ بِهِ في النّاسِ ، وَرِفْقٌ بِالْمَكْروبِ ، وَشَفَقَةٌ عَلَى الْوالِدَيْنِ ، وَإِحْسانٌ إِلَى الْمَمْلوكِ** »(٢) .

مبرّاته عليه السلام بفقراء المدينة

كان الإمام أبو جعفر عليه السلام كثير البرّ والصدقات لفقراء المدينة ، وقد بلغت نفقاته عليهم ثمانية آلاف دينار حسب ما يقول المؤرّخون(٣) ، كما كان يتصدّق عليهم

---

(١) شرح شافية أبي فراس : ٢ : ١٧٦ . البيان والتبيين : ٣ : ١٥٧ و ١٥٨ . أعيان الشيعة : ١ : ٦٥١ . كشف الغمّة : ٢ : ٣٣٩ .

(٢) الخصال : ٢٢٥ ، الحديث ٥٧ .

(٣) شرح شافية أبي فراس : ٢ : ١٧٦ .

في كلّ يوم جمعة ، ويقول : « **الصَّدَقَةُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ تُضاعِفُ الْفَضْلَ عَلىٰ غَيْرِه مِنَ الْأَيّام** »[١] .

تكريمه عليه السلام للفقراء

من سموّ أخلاق الإمام ومن معالي آدابه أنّه كان يحتفي بالفقراء ، ويقابلهم بمزيد من التكريم ، وقد عهد إلى أهله وأوصاهم أنّهم إذا قصدهم سائل أن لا يقولوا له : يا سائل خذ هذا ، وإنّما يقولون له : يا عبد الله ، بورك فيك[٢] .

وقال لأهله : **سَمّوهُمْ بِأَحْسَنِ أَسْمائِهِمْ**[٣] .

إنّ هذه الأخلاق الكريمة مستمدّة من أخلاق جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله الذي امتاز على سائر الأنبياء بمعالي أخلاقه .

فضل الصدقة

حثّ الإمام أهل بيته وأصحابه على الصدقة للفقراء والبؤساء ، وذكر لهم ما يترتّب عليها من الأجر الجزيل .

قال عليه السلام : « **أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِشَيْءٍ إذا فَعَلْتُموهُ يُبْعِدُ السُّلْطانَ وَالشَّيْطانَ مِنْكُمْ** .

فقال له أبو حمزة : بلى أخبرنا حتّى نفعله .

قال عليه السلام : **عَلَيْكُمْ بِالصَّدَقَةِ فَبَكِّروا بِها ، فَإِنَّها تُسَوِّدُ وَجْهَ إِبْليسَ ، وَتَكْسِرُ شَرَهَ السُّلْطانِ الظّالِمِ عَنْكُمْ في يَوْمِكُمْ ذٰلِكَ ، وَعَلَيْكُمْ بِالْحُبِّ لِلّٰهِ ، وَالتَّوَدُّدِ وَالْمُوازَرَةِ عَلى**

---

(١) أعيان الشيعة ـ القسم الأوّل : ١ : ٦٥١ .

(٢) عيون الأخبار : ٢٠٨ .

(٣) البيان والتبيين : ٣ : ١٥٧ . أعيان الشيعة ـ القسم الأوّل : ١ : ٦٥١ .

الْعَمَلِ الصّالِحِ ، فَإِنَّهُ يَقْطَعُ دابِرَهُما ـ يعني الشيطان والسلطان ـ **وَأَلِحّوا في الْإِسْتِغْفارِ فَإِنَّهُ مَمْحاةٌ لِلذُّنوبِ** »[(١)].

حكى هذا الحديث بعض فوائد الصدقة التي منها دفع شره السلطان الظالم عن أصحاب الإمام الذين هم من عيون شيعة أهل البيت ، فقد جهد الحكم الأموي على ظلمهم والتنكيل بهم . وأنّ الصدقة تدفع عنهم البلاء الذي يصبّه عليهم ملوك الأمويّين ، فقد أسرفوا في ظلم شيعة أهل البيت ، فسملوا عيونهم ، وقطعوا أيديهم وأرجلهم ، وغير ذلك من صنوف التنكيل والتعذيب .

ومن فوائد الصدقة ما تحدّث به الإمام أبو جعفر ، قال عليه السلام : « **إذا كانَ يَوْمُ الْقِيامَةِ أَمَرَ اللهُ تَعالىٰ مُنادِياً يُنادي بَيْنَ يَدَيْهِ: أَيْنَ الْفُقَراءُ ؟ فَيَقومُ عُنُقٌ مِنَ النّاسِ كَثيرٌ .**

فَيَقولُ: عِبادِي .

فَيَقولونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنا .

فَيَقولُ: إِنّي لَمْ أُفْقِرْكُمْ لِهَوْنٍ بِكُمْ عَلَيَّ ، وَلٰكِنْ إِنَّما اخْتَرْتُكُمْ لِمِثْلِ هٰذَا الْيَوْمِ ، تَصَفَّحوا وُجوهَ النّاسِ . فَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْروفاً لَمْ يَصْنَعْهُ إِلّا فِيَّ فَكافُوهُ عَنّي بِالْجَنَّةِ »[(٢)].

وكثير من أمثال هذا الحديث قد أُثرت عنه ، وهي تحثّ على الصدقة وتذكر المزيد من الثواب الذي يظفر به المتصدّق على الفقراء وفي سبيل الله تعالى .

لقد كان الإمام أبو جعفر عليه السلام من عظماء أهل البيت ووارث صفاتهم وما امتازوا به من نكران الذات وحبّ الخير للناس ، وإقامة معالم الحقّ والفضيلة في

---

(١) تحف العقول : ٢٩٨ .

(٢) أُصول الكافي : ٢: ٢٦٣ .

المجتمع الإسلامي ، كما كان المثل الأعلى لإسعاف الضعفاء والبرّ بالفقراء ، فكان من أندى الناس كفّاً وبرّاً بهم ، وقد تغذّى بمثل أبيه الذي كان أعجوبة الدنيا في سموّ ذاته ومعالي أخلاقه ، وقد أخذ منهجه وطبّقه على واقع حياته .

ما روي في برّه عليه السلام

١ ـ حدّث كلّ من عبدالله بن عبيد وعمرو بن دينار ، قالا : « ما لقينا أبا جعفر محمّد بن عليّ إلّا وحمل إلينا النفقة والكسوة ، ويقول عليه السلام : **هٰذِهِ مُعَدَّةٌ لَكُم قَبْلَ أَنْ تَلْقَوْني** »(١) .

٢ ـ روى سليمان بن قرم ، قال : « كان أبو جعفر يجيزنا الخمسمائة درهم إلى الستّمائة درهم إلى الألف ، وكان لا يملّ من صلة الإخوان وقاصديه وراجيه(٢) .

٣ ـ قال الحسن بن كثير : « شكوت إلى أبي جعفر محمّد بن عليّ الحاجة ، وجفاء الاخوان ، فتأثّر ، وقال عليه السلام : **بِئْسَ أَخٌ يَرْعاكَ غَنِيّاً ، وَيَقْطَعُكَ فَقيراً** .

ثمّ أمر غلامه فأخرج كيساً فيه سبعمائة درهم ، وقال عليه السلام : **اسْتَنْفِقْ هٰذِهِ ، فَإِذا نَفِدَتْ فَأَعْلِمْني** »(٣) .

٤ ـ وكان عليه السلام يحبو قوماً يغشون مجلسه من المائة إلى الألف ، وكان يحبّ مجالستهم ، منهم عمرو بن دينار ، وعبدالله بن عبيد ، وكان يحمل إليهم الصلة والكسوة ، ويقول : **هَيَّأْناها لَكُمْ مِنْ أَوَّلِ السَّنَةِ**(٤) .

---

(١) الإرشاد : ٢ : ١٦٦ .

(٢) الإرشاد : ٢ : ٢٩٩ .

(٣) عيون الأخبار وفنون الآثار : ٢١٧ . وانظر مناقب آل أبي طالب : ٣ : ٣٣٧ .

(٤) عيون الأخبار وفنون الآثار : ٢١٧ .

٥ ـ روت مولاته سلمى ، قالت : «كان يدخل عليه إخوانه فلا يخرجون من عنده حتّى يطعمهم الطعام الطيّب ، ويلبسهم الثياب الحسنة ، ويهب لهم الدراهم ، وقد عذلته سلمى عن ذلك ، فقال لها : **يا سُلْمىٰ ، ما يُؤَمَّلُ في الدُّنْيا بَعْدَ الْمَعارِفِ وَالْإِخْوانِ** . وكان يقول عليه السلام : **ما حَسَّنَتِ الدُّنْيا إلَّا صِلَةُ الْإخْوانِ وَالْمَعارِفِ**[1] .

هذه بعض البوادر التي أُثرت عن كرمه وسخائه عليه السلام ، وهي تكشف عن أنّ الإحسان والبرّ كانا من عناصره ومن مقوّماته .

لقد كان الإمام أبو جعفر عليه السلام المثل الأعلى لجدّه النبيّ صلى الله عليه وآله في مكارمه وإحسانه إلى الفقراء الذين لا يجدون ملجأً يلجأون إليه سواه ، فلاذوا به ، واحتموا به من غائلة الجوع وضيق معاشهم .

إنّ أهل البيت عليهم السلام القدوة الحسنة لكلّ مسلم ، فهم أوصياء نبيّهم وخلفاؤه على أُمّته ، ومَن تمسّك بهم فقد تمسّك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها .

---

(١) صفة الصفوة : ٢ : ٦٣ . أعيان الشيعة : ١ : ٦٥٣ .

الإمام الصادق عليه السلام

الإمام الصادق عليه السلام عملاق هذه الأمّة ، ورائد نـهضتها العـلميّة والحـضاريّة ، الذي ملأ الدنيا بثرائه الفكري والعلمي ـ على حدّ تعبير الجاحظ ـ وهو الذي أقام جامعته الكبرى التي تضمّ أربعة آلاف طالب ، وقد ترجمنا مـنهم فـي موسوعة الإمام الصادق ثلاثة آلاف وستّمائة واثنين وخمسين طالباً . وتعتبر هذه الجامعة الكبرى من أهمّ المراكز العلميّة في ذلك العصر ، فقد أوجدت عوامل النهوض والارتقاء للأُمّة بما بثّته من طاقات علميّة في مختلف أنحاء العلوم .

إنّ النهضة العلميّة في العصر العبّاسي كانت من معطيات جامعة الإمام ، ويرى بعض المحقّقين أنّ التقدّم التكنولوجي والتطوّر الهائل في عالم الصناعة يستند بعضه إلى ما خلّفه جابر بن حيّان مفخرة الشرق من تراث مشرق في علم الكيمياء وعلم الفيزياء اللذين هما الأساس للنهضة العلميّة في هذه العصور ، وجابر من تلاميذ الإمام الصادق عليه السلام .

وشيء آخر جدير بالاهتمام هو ما قام به الإمام عليه السلام من تأسيس فقه مذهب أهل البيت عليهم السلام الذي هو أسمى ما أسّسه علماء القانون من الأحكام ، فقد تميّز بتفاعله مع الحياة ومواكبته للفطرة ومعالجته لمشاكل الحياة ، وقد اقتبس العلماء الكثير من بنوده .

يقول الدكتور عبدالرحمن بدوي : « الإمام الصادق هـو الذي نـظّم الشـيعة ، وأوجد لها الكيان الفقهي ، ممّا جعلها من أبرز الفِرق الإسلاميّة ، وأغـناها آثـاراً

وتفكيراً ، وأكثرها جهاداً في سبيل الله وخير الإنسانيّة »[١] .

كما أنّ من أبرز ما أُثر عن هذا العملاق العظيم تعاليمه الطبيّة ووصفاته لفوائد الفواكه والخضروات ، وما ألقاه من الدروس الطبيّة على السادة الأطبّاء من تلاميذه ، أمثال الطبيب الماهر ابن بهلة وغيره ، وتعتبر مدرسته في علم الطبّ أوّل مدرسة أُسّست في شبه الجزيرة العربيّة ، ولم تقام في ذلك العصر مثلها[٢] .

وقد ذكرنا بصورة شاملة دروسه وبحوثه الطبيّة ، ومَن تخرّج عنه في الجزء الثالث من موسوعة الإمام الصادق عليه السلام .

وعلى أي حال ، فقد كان الإمام الصادق عليه السلام أثرى شخصيّة علميّة عرفها التاريخ الإنساني في مواهبه وعبقريّاته التي لا نهاية لها ولا حدّ لأبعادها .

وكان من أهمّ ما عنى به الإمام الصادق عليه السلام البرّ بالفقراء والإحسان إليهم ، وإنقاذهم من غائلة الجوع ، وقد حثّ على صلة الأرحام الفقراء ، وصلة الفقراء والصدقة عليهم ، وغير ذلك ممّا نعرض له ، وهذه نماذج منها :

صدقاته عليه السلام في السرّ

أمّا صدقة السرّ فإنّها من أفضل الطاعات لأنّها من الأعمال الصالحة التي لا يشوبها غرض من أغراض الدنيا ، وكانت من عادات أئمّة أهل البيت عليهم السلام ، فكان الإمام زين العابدين عليه السلام يصل الفقراء في غلس الليل بالطعام والمال وهم لا يعرفونه ، وكان الإمام الصادق عليه السلام يحمل جراباً فيه الخبز واللحم والدراهم ويذهب به إلى أهل الحاجة من فقراء المدينة فيقسّمه فيهم ولم يعرفوه حتّى مضى

---

(١) مجلّة دراسات إسلاميّة : ٦٠ .

(٢) الإمام الصادق كما عرفه علماء الغرب : ١١٧ .

إلى الله تعالى .

ومن صلاته السرّيّة ما رواه إسماعيل بن جابر ، قال : « أعطاني أبو عبدالله عليه السلام خمسين ديناراً في صرّة ، وقال لي : **اِدْفَعْها إِلىٰ شَخْصٍ مِنْ بَني هاشِمٍ ، وَلَا تُعْلِمْهُ أَنّي أَعْطَيْتُكَ شَيْئاً** .

فأتيته ودفعتها إليه ، فقال لي : من أين هذه ؟ فأخبرته أنّها من شخص لا يقبل أن تعرفه ، فقال العلوي : ما يزال هذا الرجل كلّ حين يبعث بمثل هذا المال ، فتكوَن ممّن نعيش به إلى قابل ، ولكن لا يصلني جعفر بدرهم مع كثرة ماله[1] .

وقد أُثرت عنه كوكبة من الأحاديث في فضل صدقة السرّ سنذكرها .

برّه عليه السلام بالفقراء

كان الإمام الصادق عليه السلام من أندى الناس كفّاً في البرّ بالفقراء ، وإنقاذهم من غائلة الفقر ، وهذه بعض البوادر من إحسانه وبرّه بهم .

مع فقير

وفد على الإمام فقير ، فأعطاه أربعمائة درهم ، فأخذها الفقير شاكراً ، وأمر الإمام بإرجاعه . فلمّا مثل عنده قال له الإمام : « **قالَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله : خَيْرُ الصَّـدَقَةِ ما أَبْقَتْ غِنىً ، وَإِنّا لَمْ نُغْنِكَ ، فَخُذْ هذا الْخاتَمَ فَقَدْ أُعْطيتُ فيهِ عَشَرَةَ آلافِ دِرْهَمٍ ، وَبِعْهُ بِهذِهِ الْقيمَةِ** »[2] .

وانصرف الرجل وقد ملئ قلبه فرحاً وسروراً بهذا اللطف والإحسان الذي

---

(١) مجموعة ورّام : ٢ : ٨٢ .

(٢) الإمام جعفر الصادق لأحمد مغنية : ٤٧ .

لم يصدر إلّا من معادن النبوّة .

مع أشجع السلمي

دخل أشجع السلمي على الإمام الصادق عليه السلام فوجده عليلاً ، فسأل عن سبب علّته ، فقال عليه السلام : « تَعَدَّ عَنِ الْعِلَّةِ ، وَاذْكُرْ ما جِئْتَ لَهُ » ، فقال :

أَلْبَسَكَ اللهُ مِنْهُ عافِيَةً ... فِي نَوْمِكَ الْمُعْتَرِي وَفِي أَرَقِكْ
يُخْرِجُ مِنْ جِسْمِكَ السَّقامَ كَما ... أَخْرَجَ ذُلَّ السُّؤالِ مِنْ عُنُقِكْ

وعرف الإمام حاجته فقال لغلامه : « أَيُّ شَيْءٍ مَعَكَ ؟ » .

فقال : أربعمائة درهم ، فأمره بإعطائها له[1] .

وهكذا كان الإمام ملجأً ومفزعاً وملاذاً للفقراء .

مع المفضّل بن رمّانة

دخل المفضّل بن رمّانة وهو من الثقات على الإمام الصادق عليه السلام فشكا إليه حاله ، وسأله الدعاء .

فقال الإمام لجاريته : هاتِ الْكيسَ الَّذي وَصَلَنا بِهِ أبوجَعْفَر .

فجاءته به ، فقال له : هٰذا كيسٌ فيهِ أَرْبَعُمائَةِ دينارٍ ، فَاسْتَعِنْ بِهِ .

فقال المفضّل : لا والله جُعلت فداك ، ما أردت هذا ، ولكن أردت الدعاء . فقال عليه السلام : لَا أَدَعُ الدُّعاءَ لَكَ »[2] .

---

(١) تاريخ الإسلام ٦ : ٤٥ . مرآة الزمان ٦ : ١٦٠ . تهذيب الكمال ٥ : ٨٧ . مناقب آل أبي طالب : ٤ : ٣٤٥ . أمالي الطوسي : ١ : ٢٨٧ .

(٢) رجال الكشّي : ١٢١ .

إنفاق معظم عائدات ضياعه عليه السلام على الفقراء

كانت للإمام الصادق عليه السلام بعض الضياع والبساتين ، وكان ينفق معظم وارداتها على الفقراء . وهذه صور منها :

١ ـ كانت له ضيعة قرب المدينة تسمّى « عين زياد » فيها نخل كثير ، فإذا نضج التمر أمر وكلاءه أن يثلموا حيطانها ليدخل الناس ، ويأكلوا من ثمرها[١] .

٢ ـ كان الإمام يأمر لجيران الضيعة الذين لا يقدرون على المجيء لكلّ واحد منهم بمدّ من التمر . وما بقي منه يأمر بحمله إلى المدينة فيفرّق أكثره على الضعفاء والمستحقّين . وكانت قيمة التمر الذي تنتجه الضيعة أربعة آلاف دينار ، فكان ينفق ثلاثة آلاف دينار ، ويبقى له ألف دينار[٢] .

إنّ الإمام عليه السلام لم يكن يعرف للمال قيمة سوى أن يرد به جوع جائع أو يكسو به عارياً مبتغياً بذلك الأجر عند الله تعالى .

نفع الفقراء

حثّ الإمام الصادق عليه السلام على نفع الفقراء والإحسان إليهم ، وكان من ذلك ما رواه الحسين بن نعيم الصحّاف ، أنّ الإمام الصادق عليه السلام قال له : **أَتُحِبُّ إِخْوانَكَ يا حُسَيْنُ ؟**

ـ نعم .

تَنْفَعُ فُقَراءَهُمْ ؟

ـ نعم .

---

(١) و (٢) الإمام جعفر الصادق : ٤٧ .

أما إِنَّهُ ـ أي يجب ـ عَلَيْكَ أَنْ تُحِبَّ مَنْ يُحِبُّ اللهَ ـ أي من يحبّه الله ـ أما وَاللهِ لَا تَنْفَعُ مِنْهُمْ أَحَداً حَتَّىٰ تُحِبَّهُ ، أَتَدْعوهُمْ إِلىٰ مَنْزِلِكَ ؟

ـ نعم ، ما آكل إلّا ومعي منهم الرجلان والثلاثة والأقلّ والأكثر .

وانبرى الإمام قائلاً : أما إِنَّ فَضْلَهُمْ عَلَيْكَ أَعْظَمُ مِنْ فَضْلِكَ عَلَيْهِمْ .

واستغرب الحسين أن يكون فضلهم عليه أكثر من فضله عليهم ، فقال : جعلت فداك ، أطعمهم طعامي ، وأوطئهم رحلي ، ويكون فضلهم عليَّ أعظم ؟

ـ نَعَمْ ، إِنَّهُمْ إِذا دَخَلوا مَنْزِلَكَ دَخَلوا بِمَغْفِرَتِكَ وَمَغْفِرَةِ عِيالِكَ ، وَإِذا خَرَجوا مِنْ مَنْزِلِكَ خَرَجوا بِذُنوبِكَ وَذُنوبِ عِيالِكَ »[١] .

من أحاديثه عليه السلام في البرّ بالفقراء

١ ـ قال عليه السلام : « نَهىٰ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله عَنْ وَليمَةٍ يُخَصُّ بِها الْأَغْنِياءُ وَيُتْرَكُ الْفُقَراءُ »[٢] .

٢ ـ قال عليه السلام : « عَلَيْكَ بِالْمَساكِينِ فَأَشْبِعْهُمْ ، فَإِنَّ اللهَ يَقولُ : ﴿ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴾[٣] »[٤] .

٣ ـ قال عليه السلام : « لَوْلا إِلْحاحُ الْمُؤْمِنينَ عَلَى اللهِ في طَلَبِ الرِّزْقِ ، لَنَقَلَهُمْ مِنَ الْحالِ الَّتي هُمْ فيها إِلىٰ حالٍ أَضْيَقَ مِنْها »[٥] .

٤ ـ قال عليه السلام : « لَيْسَ لِمُصاصِ[٦] شيعَتِنا في دَوْلَةِ الْباطِلِ إِلّا الْقُوتُ ، شَرِّقوا إِنْ

---

(١) الكافي : ٢ : ٢٠٢ .

(٢) وسائل الشيعة : ٢٤ : ٣٠٠ ، باب استحباب اتّخاذ الطعام وإجادته ، الحديث ٣/٣٠٦٠٢ .

(٣) سورة سبأ : الآية ٤٩ .

(٤) وسائل الشيعة : ٢٤ : ٣٠٠ ، باب استحباب اتّخاذ الطعام وإجادته ، الحديث ٣/٣٠٦٠١ .

(٥) أصول الكافي : ٢ : ٢٦١ .

(٦) المصاص : خالص كلّ شيء ـ الصحاح .

شِئْتُمْ أَوْ غَرِّبوا ، لَنْ تُرْزَقوا إِلّا الْقوتَ »(١) .

٥ ـ قال ﷺ : « ما كانَ مِنْ وَلَدِ آدَمَ مُؤْمِنٌ إِلّا فَقيراً ، وَلا كافِرٌ إِلّا غَنِيّاً ، حَتّىٰ جاءَ إِبْراهيمُ ﷺ ، فَقالَ: ﴿ رَبَّنا لا تَجْعَلْنا فِتْنَةً لِلَّذينَ كَفَرُوا ﴾(٢) ، فَصَيَّرَ اللهُ في هٰؤُلاءِ أَمْوالاً وَحاجَةً »(٣) .

٦ ـ قال ﷺ : « إِنَّ الْمُؤْمِنينَ يَتَقَلَّبونَ في رِياضِ الْجَنَّةِ قَبْلَ أَغْنِيائِهِمْ بِأَرْبَعينَ خَريفاً »(٤) .

٧ ـ قال ﷺ : « الْمَصائِبُ مِنَحٌ مِنَ اللهِ ، وَالْفَقْرُ مَخْزونٌ عِنْدَ اللهِ »(٥) .

٨ ـ قال ﷺ : « إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَلْتَفِتُ يَوْمَ الْقِيامَةِ إِلىٰ فُقَراءِ الْمُؤْمِنينَ شَبيهاً بِالْمُعْتَذِرِ إِلَيْهِمْ ، فَيَقولُ: وَعِزَّتي وَجَلالي ، ما أَفْقَرْتُكُمْ في الدُّنْيا مِنْ هَوانٍ بِكُمْ عَلَيَّ ، وَلَتَرَوُنَّ ما أَصْنَعُ بِكُمُ الْيَوْمَ ، فَمَنْ زَوَّد مِنْكُمْ في دارِ الدُّنْيا مَعْروفاً فَخُذوا بِيَدِهِ فَأَدْخِلوهُ الْجَنَّةَ .

فَيَقولُ رَجُلٌ مِنْهُمْ: يا رَبِّ ، إِنَّ أَهْلَ الدُّنْيا تَنافَسوا في دُنْياهُمْ ، فَنَكَحوا النِّساءَ ، وَلَبِسوا الثِّيابَ اللَّيِّنَةَ ، وَأَكَلوا الطَّعامَ ، وَسَكَنوا الدُّورَ ، وَرَكِبوا الْمَشْهورَ مِنَ الدَّوابِّ ، فَأَعْطِني مِثْلَ ما أَعْطَيْتَهُمْ ؟

فَيَقولُ تَبارَكَ وَتَعالى: لَكَ وَلِكُلِّ عَبْدٍ مِنْكُمْ مِثْلُ ما أَعْطَيْتُ أَهْلَ الدُّنْيا مُنْذُ كانَتِ الدُّنْيا إِلىٰ أَنِ انْقَضَتِ الدُّنْيا سَبْعونَ ضِعْفاً »(٦) .

---

(١) أصول الكافي : ٢ : ٢٦١ .

(٢) الممتحنة ٦٠ : ٥ .

(٣) و (٦) أصول الكافي : ٢ : ٢٦٢ .

(٤) تفسير نور الثقلين : ٤ : ٦٠٠ .

(٥) أصول الكافي : ٢ : ٢٦٠ .

٩ ـ قال عليه السلام : « إِنَّ اللهَ جَلَّ ثَناؤُهُ لَيَعْتَذِرُ إِلىٰ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ الْمَحوجِ في الدُّنْيا كَما يَعْتَذِرُ الأَخُ إِلىٰ أَخيهِ ، فَيَقولُ: وَعِزَّتي وَجَلالي ، ما أَحْوَجْتُكَ في الدُّنْيا مِنْ هَوانٍ كانَ بِكَ عَلَيَّ ، فَارْفَعْ هٰذَا السِّجْفَ ، فَانْظُرْ إِلىٰ ما عَوَّضْتُكَ مِنَ الدُّنْيا .

فَيَرْفَعُ ، فَيَقولُ: ما ضَرَّني ما مَنَعْتَني ما عَوَّضْتَني »[١] .

١٠ ـ قال عليه السلام : « إِذا كانَ يَوْمُ الْقِيامَةِ قامَ عُنُقٌ مِنَ النّاسِ حَتّىٰ يَأْتوا بابَ الْجَنَّةِ ، فَيَضْرِبوا بابَ الْجَنَّةِ ، فَيُقالُ لَهُمْ: مَنْ أَنْتُمْ ؟

فَيَقولونَ: نَحْنُ الْفُقَراءِ .

فَيُقالُ لَهُمْ: أَقْبِلوا لِلْحِسابِ .

فَيَقولونَ: ما أَعْطَيْتُمونا شَيْئاً تُحاسِبونا عَلَيْهِ .

فَيَقولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: صَدَقوا ، ادْخُلوا الْجَنَّةَ »[٢] .

١١ ـ قال الصادق عليه السلام لبعض أصحابه : أَما تَدْخُلُ لِلسُّوقِ ؟ أَما تَرَى الْفاكِهَةَ تُباعُ ، وَالشَّيْءَ مِمّا تَشْتَهيهِ ؟

فقال : بلى .

فقال : أَما إِنَّ لَكَ بِكُلِّ ما تَراهُ فَلا تَقْدِرُ عَلىٰ شِراهُ حَسَنَةً »[٣] .

١٢ ـ وفي حديث جميل أنّه قال لأبي عبدالله عليه السلام : «مَنْ غُرَرُ أصحابي ؟

قال عليه السلام : هُمُ الْبارّونَ بِالْإِخْوانِ في الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ .

ثمّ قال: يا جَميلُ ، أَما إِنَّ صاحِبَ الْكَثيرِ يَهونُ عَلَيْهِ ذلِكَ ، وَقَدْ مَدَحَ اللهُ في ذلِكَ

---

(١) أُصول الكافي : ٢: ٢٦٤.

(٢) أُصول الكافي : ٢: ٢٦٤.

(٣) أُصول الكافي : ٢: ٢٦٤.

صاحِبَ الْقَلِيلِ. فَقالَ في كِتابِهِ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١)» (٢).

١٣ - وعن أبي عبدالله عليه السلام، قال: «سُئِلَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله: أَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ؟ قالَ: عَلَىٰ ذي الرَّحِمِ الْكاشِحِ» (٣).

١٤ - وموثّقة سماعة، قال: «سألت أبا عبدالله عليه السلام عن الرجل ليس عنده إلّا قوت يومه أيعطف مَن عنده قوت يومه على مَن ليس عنده شيء؟ ويعطف على مَن عنده قوت شهر على مَن دونه؟ والسّنة على نحو ذلك؟ أم ذلك كلّه الكفاف الذي لا يُلام عليه.

فقال: هُوَ أمْران: أَفْضَلُكُمْ فيهِ أَحْرَصُكُمْ عَلَى الرَّغْبَةِ وَالْإِثْرَةِ عَلىٰ نَفْسِهِ، فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقولُ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾. وَالْأَمْرُ الْآخَرُ لَا يُلامُ عَلَى الْكَفافِ، وَالْيَدُ الْعُلْيا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلىٰ، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعولُ» (٤).

لقد كان الإمام الصادق عليه السلام الملجأ الوحيد للفقراء، وكان كهفاً حصيناً للأرامل والأيتام يغدق عليهم ببرّه ومعروفه، وكان يحثّ تلاميذه وطلاب مدرسته على الإحسان للفقراء والبرّ بهم معتبراً ذلك جزء من رسالة الإسلام ومن صميم تعاليم أهل البيت عليهم السلام الذين أسّسوا مارم الأخلاق وآداب السلوك بين المسلمين.

إنّ تعاليم الإمام الصادق عليه السلام قد انصبّ الكثير منها على إنقاذ الفقراء. فإنّ الفقر عنده وعند آبائه كارثة مدمّرة يجب إنقاذ المجتمع منها فإنّها رديفة الكفر.

---

(١) الحشر ٥٩: ٩.

(٢) وسائل الشيعة: ٩: ٤٢٩، الباب ٢٨ من أبواب الصدقة، الحديث ١.

(٣) وسائل الشيعة: ٩: ٣٧٧، الباب ٢٠ من أبواب الصدقة، الحديث ١.

(٤) وسائل الشيعة: ٩: ٤٣١، الباب ٢٨ من أبواب الصدقة، الحديث ٥.

الإمام الكاظم عليه السلام

الإمام الكاظم عليه السلام من شموع العترة الطاهرة ، ومن أفذاذ أئمّة المسلمين الذين أضاءوا الحياة الفكرية ، وناهضوا الظلم والطغيان .

إنّ الإمام الكاظم حاكى جدّه الرسول الأعظم في سيرته وذاتيّاته ومناهضته للتخلّف والاستبداد ، فقد أعلن هذا الإمام العظيم مقاومته لأعتى حكومة مستبدّة وهي حكومة هارون العبّاسي الذي اتّخذ مال الله تعالى دولاً وعباده خولاً ، فحرّم الإمام التعاون مع أجهزته الحاكمة لأنّ التعاون معها دعم للظلم وقرب من الظالمين ، وقد قال الله تعالى : ﴿ **وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِن دُونِ اللهِ مِن أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ** ﴾[1] .

ومن المؤكّد أنّ الإمام عليه السلام لو صانع هارون وجاراه على ظلمه واستبداده لوهبه الثراء العريض ، ولم يتعرّض له بسوء ومكروه ، وما خلّده في ظلمات السجون حتّى اغتاله بالسمّ ، ومضى إلى الله تعالى شهيداً .

وشيء آخر في حياة هذا الإمام الملهم العظيم إنّه من دعائم النهضة العلميّة ، ومن رموز الفكر الإسلامي ، فقد قام بعد انتقال أبيه إلى حظيرة القدس بعمادة جامعة أبيه ، وقد احتفّ به العلماء وهم ينتهلون من نمير علومه التي شملت جميع أنواع العلوم من علوم الشريعة والحكمة وتفسير القرآن والطبّ وغير ذلك .

---

(١) هود ١١ : ١١٣ .

وقد حقد عليه هارون أشدّ ما يكون الحقد ، وفزع أن يكون في الأسرة النبويّة مثل الإمام موسى في سعة علومه ونكرانه للذات ، وذهاب شريحة كبيرة من المسلمين إلى إمامته . فأمر جلاوزته باعتقاله وزجّه في سجونه .

وقد اتّصل به العلماء وهو في قعر السجون ، فأخذوا منه بعض الأحاديث التي تتعلّق بأحكام الدين وآداب السلوك وقواعد الأخلاق ، وقد أثبتناها في كتابنا (حياة الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام) .

وتوجد في خزائن المخطوطات في الاتّحاد السوفياتي بعض المخطوطات التي تحمل اسم « مسند الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام » كما توجد نسخة منها في مكتبة الظاهريّة في دمشق وهي التي أثبتناها في الكتاب .

وعلى أي حال ، فإنّ الإمام موسى بن جعفر من أثرى أئمّة المسلمين في مواهبه وعبقريّاته ونزعاته العلميّة التي انتهل منها العلماء ، وتحدّثت عنها الأندية العلميّة ، الأمر الذي أوغر صدر الطاغية العبّاسي هارون عليه .

أمّا نزعات الإمام وصفاته ، فهي تضارع نزعات آبائه وصفاتهم ، فهم جميعاً قد آتاهم الله تعالى الحكمة وفصل الخطاب ، وفضّلهم على خلقه ، ومنحهم ألطافه .

وكان البارز في سيرته عليه السلام هو البرّ بالفقراء والإحسان لهم ، وكان من مبرّاته :

صراره عليه السلام

وكانت صراره يضرب بها المثل ، فكان أهله وغيرهم يقولون : « عجباً لمن جاءته صرار موسى وهو يشتكي القلّة والفقر »[١] .

---

(١) عمدة الطالب : ١٨٥ .

وكان يحملها في غلس الليل ويوصلها إلى الطبقة الفقيرة وهم لا يعرفونه ، وهي من صدقات السرّ التي ندب إليها الأئمّة الطاهرون ، وكانت تلك الصرار تحتوي الواحدة منها ما بين المائتي دينار إلى الأربعمائة دينار[١] ، وقد شملت مبرّاته جميع فقراء المدينة[٢] .

صلته عليه السلام لأعدائه

وكان إذا بلغه عن شخص يسيء إليه وينتقصه بعث له بصرّة فيها ألف دينار[٣] .

وبالغ شخص من ذرّيّة عمر بن الخطّاب في سبّ الإمام ، وسبّ جدّه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، فأراد بعض شيعة الإمام اغتياله ، فنهاه عن ذلك ، ورأى أن يعالجه بالبرّ والإحسان ، فسأل عنه ، فقيل انّه يزرع في بعض نواحي المدينة ، فأقبل نحوه ، فصاح به العمري : لا تطأ زرعنا ، فلم يعتن الإمام إذ لم يجد طريقاً يسلكه غير ذلك . ولمّا انتهى إليه جلس إلى جنبه وأخذ يلاطفه ويحدّثه بأطيب الحديث ، وقال له بلطف ولين : **كَمْ غَرِمْتَ عَلىٰ زَرْعِكَ ؟**

- مائة دينار .
- **كَمْ تَرْجو أنْ تُصيبَ مِنْه ؟**
- أنا لا أعلم الغيب .
- **إنَّما قُلْتُ لَكَ كَمْ تَرْجو أنْ يَجيئَكَ مِنْه ؟**
- أرجو أن يجيئني منه مائتا دينار . فأعطاه عليه السلام ثلاثمائة دينار ، وقال : **هٰذِهِ لَكَ**

---

(١) مستدرك سفينة البحار : ٦ : ٢٦٢.

(٢) دلائل الإمامة : ٣٣٣.

(٣) تاريخ بغداد : ١٣ : ٢٧ .

وَزَرْعُكَ عَلىٰ حالِهِ .

فتغيّر العمري ، وخجل من نفسه على ما فرّط من قبل في حقّ الإمام ، وتركه ﷺ ومضى إلى الجامع النبوي ، فوجد العمريّ قد سبقه ، فلمّا رأى الإمام مقبلاً قام إليه تكريماً وانطلق يهتف : الله أعلم حيث يجعل رسالته في من يشاء .

فبادر إليه أصحابه منكرين عليه هذا الانقلاب ، فأخذ يخاصمهم ، ويتلو عليهم مناقب الإمام ومآثره ، ويدعو له ، فالتفت ﷺ إلى أصحابه قائلاً : أيُّما كانَ خَيْراً : ماأَرَدْتُم أَمْ ما أَرَدْتُ . إنّي أَصْلَحْتُ أَمْرَهُ بِالْمِقْدارِ الَّذي عَرَفْتُمْ ، وَكُفِيْتُ شَرَّهُ »[١] .

لقد عالج الإمام عدوّه بالحكمة ، وقلع ما في نفسه من شرّ ومكروه بالصلة .

مع عيسى بن محمّد

زرع عيسى بن محمّد في مزرعته بطيخاً ، فلمّا استوى الزرع أتى عليه الجراد فأكله ، وكان قد أنفق عليه مائة وعشرين ديناراً مع ثمن جملين ، وبقي حائراً قد أحاط به البؤس والفقر ، وسمع الإمام بحاله فقصده وقال له : كَيْفَ حالُكَ ؟

- أصبحت كالصريم[٢] بغتني الجراد فأكل زرعي .
- كَمْ غَرِمْتَ فيهِ ؟
- مائة وعشرين ديناراً مع ثمن الجملين .

فناوله الإمام مائة وخمسين ديناراً مع ثمن الجملين »[٣] .

---

(١) تاريخ بغداد : ١٣ : ٢٨ و ٢٩ . كشف الغمّة : ٣ : ١٨ . الإرشاد : ٢ : ٢٣٣ . إعلام الورى : ٢ : ٢٦ . دلائل الإمامة : ٣١١ .

(٢) الصريم : الأرض المحصود زرعها .

(٣) تاريخ بغداد : ١٣ : ٢٩ . كشف الغمّة : ٢ : ٢٤٣ .

مع محمّد البكري

كانت لمحمّد البكري ديون على جماعة من أهل المدينة ، فقدم لتحصيلها وبقي زمناً يطالبهم بها ، فلم يستجيبوا له ويئس منهم وقصد الإمام الكاظم عليه السلام يشكو له حاجته ، وكان الإمام في بعض ضياعه « بنقمى »[١] .

ولمّا وصل إلى محلّ الإمام خرج عليه السلام وكان بخدمته غلام معه منسف[٢] فيه قديد[٣] مجزّع[٤] ، فأكلوا منه جميعاً ، وبعد الفراغ من تناول الطعام سأله الإمام عن حاله ، فأخبره بقصّته وضيق حاله .

فقام عليه السلام فدخل البيت ثمّ خرج ، فأمر غلامه بالانصراف لئلّا يراه فيكون ذلّ على السائل ، ثمّ أعطاه صرّة فيها ثلاثمائة دينار ـ لعلّها أكثر من ديونه ـ فأخذها محمّد وانصرف شاكراً للإمام وداعياً له بالخير[٥] .

مع غلام زنجي

خرج الإمام مع حاشيته وبعض أولاده إلى ضياعه الواقعة بساية[٦] ، وقبل الانتهاء إليها استراحوا في بعض المناطق المجاورة لها . وكان الوقت آنذاك شديد البرد .

---

(١) نقمى ـ بالتحريك والقصر ـ : من النقمة ، وهي العقوبة ، موضع من أعراض المدينة كان لآل أبي طالب . معجم البلدان : ٨ : ٣١٠ .

(٢) المنسف ـ بالكسر ـ : يستعمل في تصفية الحبّ وغربلته .

(٣) القديد : اللحم المشرّر الذي قطع وشرّر . تاج العروس : ٢ : ٤٦١ .

(٤) المجزّع : كلّ شيء اجتمع فيه سواد وبياض .

(٥) تاريخ بغداد : ١٣ : ٢٨ .

(٦) ساية : واد من حدود الحجاز فيه مزارع .

فبينما هم جلوس إذ خرج إليهم عبد زنجي فصيح اللسان ، وهو يحمل على رأسه قدراً يفور ، فوقف أمام غلمان الإمام وقال لهم : أين سيّدكم ؟

- هو ذاك ، وأشاروا إلى أبي الحسن عليه السلام .

- أبو مَن يكنّى ؟

- أبو الحسن .

فوقف بين يديه وهو يتضرّع قائلاً له : يا سيّدي ، هذه عصيدة أهديتها إليك .

فقبل الإمام هديّته ، وأمره بأن يضعها عند الغلمان ، فوضعها عندهم ، ثمّ انصرف ، فلم يلبث إلّا قليلاً حتّى أقبل ومعه حزمة من الحطب ، فوقف قبال الإمام وقال له : يا سيّدي ، هذا حطب أهديته إليك .

فقبل عليه السلام هديّته ، وأمره أن يلتمس له قبساً من النار ، فمضى قليلاً ثمّ جاء بالنار ، فأمر الإمام بكتابة اسمه واسم مولاه ، وبعد تسجيله أمر بعض ولده بالاحتفاظ به عند الحاجة . ثمّ إنّهم رحلوا إلى ضياعهم ، فمكثوا فيها أيّاماً ، وبعدها اتّجهوا إلى بيت الله الحرام ، فاعتمر عليه السلام فيه ، وبعد فراغه أمر صاعداً أن يفتّش عن مالك العبد ، وقال له : **إذا عَلِمْتَ مَوْضِعَهُ فَأَعْلِمْني حَتّىٰ أَمْشِيَ إِلَيْهِ ، فَإِنّي أَكْرَهُ أَنْ أَدْعوهُ وَالْحاجَةُ لي .**

فمضى غلام الإمام ففتّش عن الرجل حتّى ظفر به ، فعرفه وعرف أنّه ممّن يدين بالإمامة ، وعرض عليه قدوم الإمام ، وأبى أن يخبره بحاجته ، وسارع الرجل للتشرّف برؤية الإمام ، ولمّا مثل عنده عرض عليه الإمام حاجته بأدب ولطف : جعلت فداك ، الغلام لك والضيعة ، وجميع ما أملك .

فشكره الإمام وقال له : **أَمّا الضَّيْعَةُ فَلا أُحِبُّ أَنْ أَسْلِبَكَها .**

وجعل الرجل يتضرّع إلى الإمام ويتوسّل إليه ليقبلها منه ، والإمام ممتنع

من إجابته ، وأخيراً اشترى عليه السلام الغلام مع الضيعة بألف دينار ، فأعتق الغلام ، ووهب له الضيعة ، كلّ ذلك ليجازي الإحسان بالإحسان ، ويقابل المعروف بالمعروف ، وقد وسّع الله على العبد ببركة الإمام حتّى أصبح أبناؤه من أثرياء مكّة وصرّافيها[(١)] .

إنفاق جميع ما عند الإمام عليه السلام

أنفق الإمام جميع ما يملكه على الفقراء والضعفاء مبتغياً في ذلك وجه الله تعالى ورضوانه[(٢)] .

إطعام عامّ

من برّه وإحسانه أنّه أطعم أهل المدينة إطعاماً شاملاً ثلاثة أيّام فلامه على ذلك بعض حسّاده ، فقال له : « **ما آتَى اللهُ نَبِيّاً مِنْ أَنْبِيائِهِ شَيْئاً إِلَّا وَقَدْ آتىٰ مُحَمَّداً** صلى الله عليه وآله **وَزادَهُ ما لَمْ يُؤْتِهِمْ . قالَ تَعالىٰ لِسُلَيْمانَ بْنِ داوُدَ: ﴿هٰذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾**[(٣)] »[(٤)] .

إنّ إطعام الطعام وبذله للناس ينمّ عن سموّ النفس وسعة رحمتها ، وكان عليه السلام يقول : « **مِنْ موجِباتِ الْمَغْفِرَةِ إِطْعامُ الطَّعامِ** »[(٥)] .

لقد كان الإمام الكاظم عليه السلام من أجود الناس ، ومن أكثرهم برّاً وإحساناً للفقراء .

---

(١) تاريخ بغداد : ١٣ : ٢٩ و ٣٠ . البداية والنهاية : ١٠ : ١٨٣ .

(٢) حياة الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام : ١ : ١٥٥ ـ ١٦٠ .

(٣) ص ٣٨ : ٣٩ .

(٤) فروع الكافي : ٦ : ٢٨١ ، باب الولائم ، الحديث ١ .

(٥) وسائل الشيعة : ١٦ : ٣٢٩ ، الحديث ٢١٦٨٠ .

إغاثة الملهوفين

كان الإمام ملاذاً وملجأً لكلّ ملهوف . وممّن لجأ إليه واستجار به شخص من أهالي الريّ كانت عليه أموال للدولة فعجز عن تسديدها . وسأل عن حاكم الريّ فأخبر أنّه من الشيعة فسافر إلى المدينة . واستجار بالإمام الكاظم عليه السلام ، فزوّده الإمام برسالة إلى والي الريّ جاء فيها بعد البسملة :

« إعْلَمْ أَنَّ للهِ تَحْتَ عَرْشِهِ ظِلاً لَا يَسْكُنُهُ إِلَّا مَنْ أَسْدىٰ إِلىٰ أَخِيهِ مَعْرُوفاً ، أَوْ نَفَّسَ عَنْهُ كُرْبَةً ، أَوْ أَدْخَلَ عَلىٰ قَلْبِهِ سُرُوراً ، وَهٰذا أَخُوكَ ، وَالسَّلامُ » .

وأخذ الرسالة ، وبعد أدائه لفريضة الحجّ ، اتّجه إلى وطنه ، فلمّا وصل مضى إلى الحاكم ليلاً ، فطرق عليه باب بيته فخرج غلامه ، فقال له : من أنت ؟

- رسول الصابر موسى ؟

فهرع إلى مولاه فأخبره بذلك ، فخرج حافي القدمين مستقبلاً له ، فعانقه وقبّل ما بين عينيه ، وجعل يكرّر ذلك ، ويسأله بلهفة عن حال الإمام ، ثمّ إنّه ناوله رسالة الإمام فقبّلها وقام لها تكريماً ، فلمّا قرأها استدعى بأمواله وثيابه فقاسمه في جميعها وأعطاه قيمة ما لا يقبل القسمة وهو يقول له : يا أخي ، هل سررتك .

- إي والله وزدت على ذلك .

ثمّ استدعى السجل فشطب على جميع الديون التي عليه ، وأعطاه براءة منها ، وخرج الرجل وقد طار قلبه فرحاً وسروراً ، ورأى أن يجازيه على إحسانه ومعروفه فيمضي إلى بيت الله الحرام فيدعو له ، ويخبر الإمام بما أسداه إليه من البرّ والمعروف ، ولمّا أقبل موسم الحجّ مضى إليه ثمّ اتّجه إلى يثرب ، فواجه الإمام وأخبره بحديثه ، فسرّ عليه السلام بذلك سروراً بالغاً ، فقال له الرجل : يا مولاي ،

هل سرّك ذلك ؟

- « إيْ وَاللهِ لَقَدْ سَرَّنِي ، وَسَرَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَاللهِ لَقَدْ سَرَّ جَدِّي رَسُولَ اللهِ ﷺ ، وَلَقَدْ سَرَّ اللهَ تَعالىٰ »[١] .

مرقده عليه السلام من أبواب الله تعالى

وكما كان الإمام الكاظم عليه السلام ملجأً وملاذاً للفقراء والمنكوبين ، فكذلك أصبح مرقده المقدّس ملاذاً لذوي الحاجات ، فما استجار به أحد إلّا فرّج الله تعالى كربه ورجع إلى أهله مثلوج القلب قرير العين ، وقد آمن بذلك المسلمون .

يقول شيخ الحنابلة وعميدهم الروحي أبو علي الخلّال : « ما همّني أمر فقصدت قبر موسى بن جعفر إلّا سهّل الله تعالى لي ما أحبّ »[٢] .

وقال الإمام الشافعي : « قبر موسى الكاظم الترياق المجرّب »[٣] .

وقد ألمّت كوارث الدهر ومحن الأيّام بكوكبة من الشعراء والأدباء ففزعوا إلى مرقد الإمام عليه السلام المعظّم متوسّلين به إلى الله تعالى في كشف ما ألمّ بهم من ضرّاء ، ففرّج الله عنهم ، كان منهم محمّد جواد البغدادي ، فسعى إلى المرقد المقدّس متوسّلاً إلى الله تعالى به أن يقضي مهمّته وهو يقول :

يا سَمِيَّ الكَليمِ جِئْتُكَ أَسْعىٰ نَحْوَ مَغْناكَ قاصِداً مِنْ بِلادي

لَيسَ تُقْضىٰ لَـنا الحَـوائِجُ إِلّا عِندَ بابِ الرَّجاءِ جَدِّ الجَوادِ

وقد شطرهما آية الله العظمى السيّد مهدي آل بحرالعلوم نوّر الله مثواه بقوله :

---

(١) بحار الأنوار : ٤٨ : ١٧٤ .

(٢) تاريخ بغداد : ١ : ١٢٠ .

(٣) تحفة العالم : ٢ : ٢٠ .

يا سَمِيَّ الْكَلِيمِ جِئْتُكَ أَسْعىٰ وَالهَوىٰ مَرْكَبِي وَحُبُّكَ زادي

مَسَّنِي الضُّرُّ وَانْتَحىٰ بِيَ فَقْرِي نَحْوَ مَغْناكَ قاصِداً مِنْ بِلادي

لَيسَ تُقْضىٰ لَنا الحَوائِجُ إلّا عِندَ بابِ الحَوائِجِ المُعْتادِ

عِندَ بَحرِ النَّدى ابْنِ جَعْفَرِ مُوسى عِندَ بابِ الرَّجاءِ جَدِّ الجَوادِ(١)

وخمّسها الخطيب عبّاس البغدادي بقوله :

لَمْ تَزَلْ لِلْأَنامِ تُحْسِنُ صُنْعاً وَتُجيرُ الَّذي أَتاكَ وَتَرعىٰ

وَإِذا ضاقَتِ الفَضا بِيَ ذَرْعاً يا سَمِيَّ الكَليمِ جِئْتُكَ أَسْعىٰ

وَالْهَوىٰ مَرْكَبِي وَحُبُّكَ زادي

أَنْتَ غَيْثٌ لِلْمُجْدِبينَ وَلَوْلا فَيضُ جَدْواكُمُ الوُجودُ اضْمَحَلّا

قَسَماً بِالَّذي تَعالىٰ وَجَلّا لَيسَ تُقْضىٰ لَنا الحَوائِجُ إلّا

عِندَ بابِ الرَّجاءِ جَدِّ الجَوادِ

وممّن نظم في ذلك شاعر النبوغ والعبقريّة المرحوم السيّد عبدالباقي العمري بقوله :

لُذْ وَاسْتَجِرْ مُتَوَسِّلاً إنْ ضاقَ أَمْرُكَ أَوْ تَعَسَّرْ

بِأَبي الرِّضا جَدِّ الجَوا دِ مُحَمَّدٍ مُوسَى بْنِ جَعْفَرْ(٢)

إنّ مرقد الإمام موسى بن جعفر ملجأ حصين لمن استجار به ، فقد روى الخطيب البغدادي قصّة كان فيها شاهد عيان رأى امرأة مذهولة قد فقدت

---

(١) ديوان السيّد مهدي آل بحرالعلوم (مخطوط بمكتبة العلّامة السيّد صادق آل بحرالعلوم) .

(٢) ديوان عبدالباقي : ١٣٣ .

رشدها ، وهامت في تيّار من الهواجس والهموم لأنها أُخبرت أنّ ولدها قد ارتكب جريمة ، وألقت عليه السلطة المحليّة القبض وأودعته في السجن . فأخذت تهرول نحو ضريح الإمام مستجيرة به ، فرآها بعض الأوغاد ممّن لا يؤمن بالإمام فقال لها : إلى أين ؟

- إلى موسى بن جعفر ، فإنّه قد حبس ابني .

فقال لها بسخرية واستهزاء : إنّه قد مات في الحبس .

فاندفعت تقول بحرارة وقد لذعها قوله : اللّهمّ بحقّ المقتول في الحبس أن تريني القدرة .

فاستجاب الله دعاءها ، فأطلق سراح ولدها ، وأودعَ ابن المستهزئ في ظلمات السجون بجرم ذلك الشخص[1] .

لقد أراها الله تعالى كرامة الإمام وعظيم منزلته عنده . فحكم ببراءة ولدها من جريمة القتل وأُلقي في السجن ابن ذلك الرجل الذي لا يؤمن بحرمة أهل البيت عليهم السلام .

إنّ الله تعالى جعل مراقد الأئمّة الطاهرين ملاذاً لكلّ محروم وملجأً لكلّ طالب حاجة . يقول الجواهري :

وَالنّاصِبينَ بُيوتَهُمْ وَقُبورَهُمْ ... لِلسّائِلينَ عَنِ الكِرامِ دَليلا
وَالطّامِسينَ مِنَ الجَهالَةِ غَيْهَباً ... وَالمُطْلِعينَ مِنَ النُّهى قِنْديلا[2]

إنّ الله تعالى قد خصّ أهل البيت عليهم السلام بكراماته أحياءً وأمواتاً .

---

(١) مناقب آل أبي طالب : ٣ : ٤٢٢ . بحار الأنوار : ٩٩ : ١ ، الحديث ٢ .

(٢) ديوان الجواهري : ٣ : ١٧٧ و ١٧٨ .

من أحاديثه عليه السلام في الفقر

قال عليه السلام: «إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يقولُ: إنّي لَمْ أُغْنِ الْغَنِيَّ لِكَرامَةٍ لَهُ عَلَيَّ، وَلَمْ أُفْقِرِ الْفَقيرَ لِهَوانٍ بِهِ عَلَيَّ، وَهُوَ مِمّا ابْتَلَيْتُ الأَغْنِياءَ بِالْفُقَراءِ، وَلَوْلا الْفُقَراءُ لَمْ يَسْتَوْجِبِ الأَغْنِياءُ الْجَنَّةَ»[١].

وقال عليه السلام: «إنَّ الأَنْبِياءَ وَأَوْلادَ الأَنْبِياءِ وَأَتْباعَ الأَنْبِياءِ خُصُّوا بِثَلاثِ خِصالٍ: السَّقَمُ في الأَبْدانِ، وَخَوْفُ السُّلْطانِ، وَالْفَقْرُ»[٢].

روى عليّ بن سويد السائي، عن أبي الحسن موسى عليه السلام حيث اشتكى الراوي له عليه السلام قلّة ذات يده. فقال عليه السلام: **تصدّق بما رزقك الله ولو آثرت على نفسك**»[٣].

وبهذا نطوي الحديث عن برّ الإمام وإحسانه إلى الفقراء والبؤساء الذين وجدوا الإمام كهفاً حصيناً لهم وأباً وصديقاً فلاذوا به ونعموا بإحسانه وصراره التي تنفي الفقر وتكسو الفقير داء النعمة والرفاهية.

---

(١) أُصول الكافي: ٢: ٢٦٥، الحديث ٢٠. مشكاة الأنوار: ٥٠١. بحار الأنوار: ٦٩: ٢٦، الحديث ٢٢.

(٢) الخصال: ٨٨، الحديث ٢٤. مشكاة الأنوار: ٢٢٨.

(٣) وسائل الشيعة: ٩: ٤٣١، الباب ٢٨ من أبواب الصدقة، الحديث ٦.

الإمام الرضا عليه السلام

الإمام الرضا عليه السلام من أفذاذ أئمّة أهل البيت ومن طلائعهم المقدّسة في مواهبه وعبقريّاته . فقد خاض هذا الإمام الملهم العظيم جميع أنواع العلوم من الفقه والفلسفة وعلم الكلام والطبّ في مناظرات علميّة مع كبار العلماء الذين جلبهم المأمون من مختلف أقطار الدنيا ووعدهم بالثراء العريض إن أفحموا الإمام وعجز عن إجابتهم ليتّخذ من ذلك وسيلة للطعن بشخصيّة الإمام ، وفساد ما تذهب إليه الشيعة من أنّ أئمّة أهل البيت عليهم السلام أعلم الأمّة ، وأنّ الله تعالى آتاهم من العلم والفضل مثل ما آتى أنبياءه عليهم السلام .

واستجاب العلماء لدعوة المأمون ، فقدّموا للإمام أعقد المسائل وأكثرها غموضاً ، فأجابهم الإمام عنها جواب العالم المتخصّص ، وبهر العلماء من سعة علومه ، ودان الكثيرون منهم بإمامته ، وكان بعضهم من الدهريّين فأسلم واعتنق مذهب أهل البيت .

ومن الجدير بالذكر أنّ تلك المسائل التي بلغت أكثر من عشرين ألف مسألة في أبواب متفرّقة من العلوم قد دوّنها بعض تلامذة الإمام ، ولم نعثر عليها ، وقد دوّنا بعضها في كتابنا (حياة الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام) وهي تكشف عن مدى ثروات الإمام العلميّة ، وأنّه من أبرز أئمّة المسلمين في فضله وعلومه ، وقد اضطرّ المأمون إلى حجبه عن العلماء مخافة أن يفتتن الناس به .

وشيء آخر جدير بالاهتمام وهو أنّ الإمام برز على مسرح الحياة السياسيّة

كألمع سياسي عرفه التاريخ الإسلامي ، فقد قدّم له المأمون جميع المغريات ، فضرب النقد باسمه ، وأراد التنازل عن الخلافة ، وعرف الإمام عليه‌السلام بوعيه أنّ ذلك لم يكن واقعياً ، ولم يكن المأمون صادقاً فيما قدّمه له من الخدمات ، وإنّما كان لأغراض سياسيّة لعلّ من أهمّها ـ فيما أحسب ـ القضاء على الثورات الشعبيّة التي كان هدفها أن يتقلّد الحكم الرضا من آل محمّد ، ويقضي على الجور والاستبداد السائدَين في الحكم العبّاسي .

ومن أهمّ تلك الثورات ثورة أبي السرايا ، فقد كان قائداً عسكريّاً ملمّاً بالأحداث والشؤون العسكريّة ، وكان كأبي مسلم الخراساني الذي أطاح بالحكم الأموي ، ومضافاً لذلك جلب عواطف الشيعة التي جهدت الحكومة العبّاسيّة على ظلمهم والتنكيل بهم .

وعلى أي حال ، فلم تخفَ على الإمام دوافع المأمون السياسيّة بتنازله عن رئاسة الدولة وتقديمها بسخاء له عليه‌السلام ، فامتنع أشدّ الامتناع من إجابته ، وعرض عليه ثانياً ولاية العهد ، فامتنع الإمام عليه‌السلام كذلك ، إلّا أنّه هدّده بالقتل إن لم يستجب لما عرضه عليه فاستجاب الإمام على كره لطلبه ، وشرط عليه شروطاً ألقت الأضواء على كراهيّته لهذا المنصب ، أمّا الشروط فهي :

١ ـ لا يأمر ولا ينهي .

٢ ـ لا يعزل أي أحد من جهاز الدولة ولا ينصبه .

ومعنى هذه الشروط أن تكون له ولاية العهد شكلاً ظاهريّاً لا واقع له ، وكيف يتخلّى المأمون عن السلطة وهو الذي قتل أخاه الأمين في سبيل الملك والسلطان .

ولم تمض الأيّام حتّى استبان عمق ما ذهب إليه الإمام من رفضه لما عرضه

عليه المأمون من الخلافة وولاية العهد ، فإنّ المأمون إنّما عمد إلى هذه اللعبة السياسيّة لأغراضه الخاصّة .

ولمّا انتهت قام باغتيال الإمام عليه السلام ، فدسّ إليه السمّ ، ولم يمكنه عزله أمام المجتمع الإسلامي ، وقد أوضحنا ذلك بصورة موضوعيّة وشاملة في كتابنا حياة الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام .

وعلى أي حال ، فلنعد إلى الحديث عن إحسان الإمام الرضا عليه السلام للفقراء ، وقيامه بتسديد شؤونهم التي هي من أهمّ رغباته النفسيّة ، وفيما يلي شذرات من ذلك :

برّ الإمام عليه السلام بالفقراء

كان الإمام الرضا عليه السلام من أبرّ الناس بالفقراء ، وقد ملك القلوب بهذه الظاهرة . وهذه بعض الصور :

إنفاق ما يملك على الفقراء

وأنفق الإمام عليه السلام جميع ما يملكه على الفقراء حينما كان في خراسان ، وذلك في يوم عرفة ، فأنكر عليه الفضل بن سهل[1] ، وقال له : إنّ هذا لمغرم .

---

(١) الفضل بن سهل السرخسي :
أسلم على يد المأمون سنة (١٩٠هـ) ، وكان من أخبر الناس بعلم النجوم ، وقد طلب المأمون من والدة الفضل أن ترسل إليه بما خلفه ابنها ، فأرسلت إليه صندوقاً صغيراً مختوماً ففضّه ، فإذا فيه درج ، وفي الدرج رقعة من حرير مكتوب فيها بخطّه بعد البسملة : « هذا ما قضى الفضل بن سهل على نفسه ، قضى أنّه يعيش ٤٨ سنة ثمّ يقتل ما بين ماء ونار » ، وقد عاش هذه المدّة ، ثمّ قتله غالب خال المأمون بسرخس في »

فأجابه الإمام : **بَلْ هُوَ الْمَغْنَمُ ، لا تَعُدَّنَّ مَغْرَماً ما ابْتَغَيْتَ بِهِ أَجْراً وَكَرَماً** »[١] .

إنّه ليس من الغرم في شيء صلة الفقراء والإحسان إلى الضعفاء ابتغاء مرضاة الله تعالى . وإنّما الغرم والخسران الإنفاق بغير وجه مشروع كإنفاق ملوك الأمويّين والعبّاسيّين ووزرائهم الأموال الضخمة على الماجنين والعابثين وعلى لياليهم الحمراء .

مع شخص نفذت نفقته

وفد عليه رجل فسلّم عليه ، وقال له : أنا رجل من محبّيك ومحبّي آبائك ، ومصدري من الحجّ . وقد نفدت نفقتي ، وما معي ما أبلغ مرحلة ، فإن رأيت أن ترجعني إلى بلدي ، فإذا بلغت تصدّقت بالذي تعطيني عنك .

فقال له : **اجْلِسْ رَحِمَكَ اللهُ** ، وأقبل على الناس يحدّثهم حتّى تفرّقوا ، وبقي

» الحمّام ، ومن بديع ما قاله إبراهيم بن العبّاس الصولي في مدحه :

لِفَضلِ بْنِ سَهلٍ يَدٌ   تَقاصَرَ عَنْها المَثَلْ
فَنائِلُها لِلْغِنى   وَسَطْوَتُها لِلأَجَلْ
وَباطِنُها لِلنَّدى   وَظاهِرُها لِلْقُبَلْ

ويقول في مدحه أبو محمّد عبدالله بن محمّد :

لَعَمرُكَ ما الأَشرافُ في كُلِّ بَلدَةٍ   وَإِنْ عَظُموا لِلفَضلِ إِلّا صَنائِعُ
تَرىٰ عُظَماءَ الناسِ لِلفَضْلِ خُشَّعاً   إِذا ما بَدا وَالفَضلُ للهِ خاشِعُ
تَواضَعَ لَمّا زادَهُ اللهُ رِفعَةً   وَكُلُّ جَليلٍ عِندَهُ مُتَواضِعُ

وأُصيب الفضل بابن يقال له العبّاس ، فجزع عليه جزعاً شديداً ، فدخل عليه إبراهيم نجل الإمام موسى بن جعفر عليه السلام ، فعزّاه وأنشده :

خيرٌ مِنَ العَبّاسِ أَجرُكَ بَعدَهُ   وَاللهُ خَيرٌ مِنكَ لِلعَبّاسِ

فقال له الفضل : صدقت ، جاء ذلك في وفيات الأعيان : ٣ : ٢٠٩ ـ ٢١١ .

(١) مناقب آل أبي طالب : ٤ : ٣٦١ .

هو وسليمان الجعفري وخيثمة ، فاستأذن الإمام منهم ودخل الدار ، ثمّ خرج وردّ الباب وخرج من أعلى الباب وقال : **أَيْنَ الْخُراسانِيُّ** ؟ فقام إليه .

فقال عليه السلام له : **خُذْ هٰذِهِ الْمائَتَي دينارٍ وَاسْتَعِنْ بِها في مَؤونَتِكَ وَنَفَقَتِكَ ، وَلَا تَتَصَدَّقْ بِها عَنّي** . وانصرف الرجل مسروراً قد غمرته نعمة الإمام ، والتفت إليه سليمان فقال له : جعلت فداك ، لقد أجزلت ورحمت ، فلماذا سترت وجهك عنه ؟

فأجابه عليه السلام : **إِنَّما صَنَعْتُ ذلِكَ مَخافَةَ أَنْ أَرىٰ ذُلَّ السُّؤالِ في وَجْهِهِ لِقَضائي حاجَتَهُ ، أَما سَمِعْتَ حَديثَ رَسولِ اللهِ** صلى الله عليه وآله : **الْمُسْتَتِرُ بِالْحَسَنَةِ تَعْدِلُ سَبْعينَ حِجَّةً ، وَالْمُذيعُ بِالسَّيِّئَةِ مَخْذولٌ** .

أَما سَمِعْتَ قَوْلَ الشّاعِرِ :

مَتىٰ آتِهِ يَوماً لأَطلُبَ حاجَةً رَجَعتُ إِلىٰ أَهْلي وَوَجْهي بِمائِهِ[1]

إنّ الإنسانيّة لتنحني إجلالاً أمام هذه النفوس الكريمة التي طهّرها الله تعالى من الرجس وجعلها قدوة لعباده .

تصدّقه عليه السلام بأطيب طعامه

من بوادر برّه وإحسانه للفقراء أنّه إذا قدّم له صحفة فيها طعام عمد إلى أطيب ما فيها ووضعه في الصحفة وأمر به إلى الفقراء ويتلو قوله تعالى : ﴿ **فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ** ﴾[2] .

---

(١) بحار الأنوار : ٤٩ : ١٠١ ، الحديث ١٩ . الكافي : ٤ : ٢٤ .

(٢) البلد ٩٠ : ١١ .

ثمّ يقول : عَلِمَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ لَيْسَ كُلُّ إِنْسانٍ يَقْدِرُ عَلىٰ عِتْقِ رَقَبَةٍ ، فَجَعَلَ لَهُ السَّبيلَ إِلَى الْجَنَّةِ بِإِطْعامِ الطَّعامِ »[١] .

أرأيتم هذه المكارم التي هي من نفحات جدّه رسول الله ﷺ الذي ساد الناس بكرمه ومكارمه .

مع فقير

من بوادر كرمه وإحسانه إلى الفقراء أنّ فقيراً سأله فقال : أعطني على قدر مروّتك .

فأجابه الإمام : **لا يَسَعُني ذلِكَ** .

والتفت الفقير إلى خطأ كلامه فقال ثانياً : أعطني على قدر مروّتي .

وقابله الإمام ببسمات فيّاضة بالبشر قائلاً : **إِذَنْ نَعَمْ** .

وأمر له بمائتي دينار[٢] .

إنّ مروّة الإمام وحبّه للخير لا يمكن الإحاطة بها ، فلو أعطاه الإمام جميع ما يملك فإنّه لا يحيط بكرمه وسخائه .

مع الغفاري

ومن برّه عليه السلام بالفقراء ما رواه أحمد بن عبيدالله عن الغفاري ، قال : « كان لرجل من آل أبي رافع مولى رسول الله ﷺ عليَّ حقّ فتقاضاني ، وألحّ عليَّ ، فلمّا رأيت ذلك صلّيت الصبح في مسجد رسول الله ﷺ ، ثمّ توجّهت نحو الإمام الرضا عليه السلام ،

---

(١) بحار الأنوار : ٤٩ : ٩٧ ، ١١ . المحاسن : ٢ : ٣٨٩ ، الحديث ٢٠ .

(٢) مناقب آل أبي طالب : ٤ : ٣٦٠ . بحار الأنوار : ٤٩ : ٩٩ ، الحديث ١٦ .

وكان في العريض ، فلمّا قربت من بابه خرج وعليه قميص ورداء ، فلمّا نظرت إليه استحييت منه ووقف لمّا رآني ، فسلّمت عليه وكان ذلك في شهر رمضان ، فقلت له : جعلت فداك ، لمولاك ـ فلان ـ عليَّ حقّ شهرني ، فأمرني بالجلوس في المكان ، ثمّ مضى لشأنه ، ولمّا أدّى صلاة المغرب قفل راجعاً إلى بيته ، وقد مضى بعض الوقت فهممت بالانصراف ، فإذا الإمام قد طلع وقد أحاط به الناس ، وهو يتصدّق على الفقراء والمحوجين ، ومضيت معه حتّى دخل بيته ، ثمّ خرج فدعاني فقمت إليه ، وأمرني بالدخول إلى منزله فدخلت ، وأخذت أُحدّثه عن أمير المدينة ، فلمّا فرغت من حديثي قال لي : **ما أَظُنُّكَ أَفْطَرْتَ بَعْدُ** .

قلت : لا ، فدعا لي بطعام ، وأمر غلامه أن يتناول معي الطعام ، ولمّا فرغت من الإفطار أمرني أن أرفع الوسادة وآخذ ما تحتها ، فرفعتها ، فإذا دنانير ، فوضعتها في كمّي ، وأمر بعض غلمانه أن يبلّغوني إلى منزلي ، فمضوا معي ، ولمّا صرت إلى منزلي طلبت السراج ونظرت إلى الدنانير ، فإذا هي ثمانية وأربعون ديناراً ، وكان حقّ الرجل عليَّ ثمانية وعشرين ديناراً ، وقد كتب على دينار منها : **إِنَّ حَقَّ الرَّجُلِ عَلَيْكَ ثَمانِيَةٌ وَعِشْرونَ ديناراً ، وَما بَقِيَ فَهُوَ لَكَ** »[1] .

وهكذا كان الإمام ملجأً لكلّ فقير وبائس ، شأنه شأن آبائه عليهم السلام الذين جعلهم الله تعالى رحمة لعباده .

مع العبيد

كان الإمام عليه السلام يبرّ بالعبيد ويحسن لهم ، فقد روى عبدالله بن الصلت عن رجل

(١) بحار الأنوار : ٤٩ : ٥٩ ، الحديث ٧٦ . الكافي : ١ : ٤٨٧ ، الحديث ٤ . الإرشاد : ٢ : ٢٥٥ .

من أهل بلخ ، قال : « كنت مع الإمام الرضا عليه السلام في سفره إلى خراسان ، فدعا يوماً بمائدة ، فجمع عليها مواليه من السودان وغيرهم ، فقلت : جعلت فداك ، لو عزلت لهؤلاء مائدة ؟

فأنكر عليَّ ذلك وقال لي : **إنَّ الرَّبَّ تَبارَكَ وَتَعالىٰ واحِدٌ ، وَالأَبُ واحِدٌ ، وَالأُمُّ واحِدَةٌ ، وَالْجَزاءُ بِالْأَعْمالِ** »(١) .

وهكذا كان الإمام عليه السلام المثل الأعلى للبرّ والإحسان للبؤساء والفقراء ، فكان الملجأ والملاذ لهم .

عتق العبيد

ومن مبرّاته للفقراء عتقه عليه السلام للعبيد وتحريرهم من ذلّ العبوديّة ، فقد أعتق ألف مملوك(٢) .

وكان إذا أعتق شخصاً وهبه الأموال التي يعيش بها ولا يبقى فقيراً يلاحقه البؤس .

لقد كان الإمام الرضا عليه السلام أباً للفقراء ، فقد وجدوا في كنفه الرحمة والرأفة ، كما كان يقابلهم بمزيد من الحفاوة والتكريم لئلّا يبدو عليهم ذلّ السؤال ، وهذه سجيّة جميع الأئمّة الطاهرين سلام الله عليهم ، فقد عاشوا لنفع الناس ، ورفع الضائقة الاقتصاديّة عن المحرومين ، وإنعاشهم بالمال ، وتوفير الحياة الاقتصاديّة حتّى لا تبدو عليهم الحاجة وذلّ السؤال .

ورحم الله تعالى شاعر أهل البيت الكميت بقوله :

---

(١) بحار الأنوار : ٤٩ : ١٠١ ، الحديث ١٨ . الكافي : ٨ : ٢٣٠ ، الحديث ٢٩٦ .

(٢) الإتحاف بحبّ الأشراف : ٥٨ .

والغيوث اللّيوث إنْ أمْحَلَ النّاسُ فمأوى حواضِنِ الأيْتامِ

إنّهم حواضن الأيتام ، وملجأ الأرامل ، وأصدقاء الغرباء ، وأعوان الضعفاء ، فقد خلقهم الله تعالى لكلّ فضيلة ، وميّزهم على جميع عباده ، ووهبهم الحكمة وفصل الخطاب .

من أحاديثه عليه السلام في فضل الفقير

قال عليه السلام : « **مَنْ لَقِيَ فَقيراً مُسْلِماً وَسَلَّمَ عَلَيْهِ خِلافَ سَلامِهِ عَلَى الْغَنِيِّ ، لَقِيَ اللهَ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبانٌ** »[1] .

وقال عليه السلام : « **الْفَقْرُ شَيْنٌ عِنْدَ النّاسِ ، وَزَيْنٌ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ** »[2] .

ومن المؤكّد أنّ أئمّة أهل البيت عليهم السلام لو تولّوا الحكم بعد وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله لما بقي شبح للفقر في بلاد المسلمين ؛ لأنّ الاقتصاد الإسلامي لو طبّق لما بقي فقير ولا بائس في المجتمع ، فإنّ الدولة مسؤولة عن مكافحة الفقر وطوي شبحه وذلك بما شرّعته من الأحكام .

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام : ١ : ٥٧ .

(٢) بحار الأنوار : ٦٩ : ٤٩ .

الإمام الجواد عليه السلام

نحن أمام معجزة الإسلام الكبرى الذي حيّر العقول بما وهبه الله تعالى من العبقريّات ومختلف العلوم، وهو في سنّ الطفولة، فقد تقلّد الإمامة بعد وفاة أبيه، وكان عمره لا يتجاوز السبع سنين وهو دور حسب سيكولوجيّة الطفل لا يسمح له أن يخوض في أي ميدان من العلوم أو يدخل في عالم المناظرات والبحوث الجدليّة مع كبار العلماء، فإنّ هذا غير ممكن لمن كان في سنّ الطفولة إلّا أنّ الإمام الجواد عليه السلام خرق ذلك بتفوّق.

لقد عقد العبّاسيّون مؤتمراً علمياً في أحد قصور الخليفة لامتحان الإمام، وعهدوا إلى علماء بغداد أن يسألوا الإمام عن أعقد المسائل وأكثرها صعوبة، فسألوا الإمام وأجاب عنها جواب العالم المتمرّس، فذهل العلماء وأيقنوا أنّ أئمّة أهل البيت عليهم السلام قد منحهم الله تعالى الحكمة وفصل الخطاب من دون فرق بين الكبير والصغير، كما منح أنبياءه عليهم السلام.

ومن الجدير بالذكر أنّ يحيى بن أكتم سأل الإمام عن محرم قتل صيداً فقال له الإمام: « **قَتَلَهُ فِي حِلٍّ أَوْ حَرَمٍ، عالِماً كانَ الْمُحْرِمُ أَمْ جاهِلاً، قَتَلَهُ عَمْداً أَوْ خَطَأً، حُرّاً كانَ الْمُحْرِمُ أَمْ عَبْداً، صَغيراً كانَ أَمْ كَبيراً**، ... » إلى غير ذلك من الفروع التي تتولّد من هذه المسألة، وسأله الإمام أي فرع منها أراد، فوجم وبقي حائراً طالباً من الإمام أن يوضّح له أحكام هذه الفروع.

وقد ذكرنا أجوبة الإمام عنها في كتابنا (حياة الإمام محمّد الجواد عليه السلام).

كما فزع لامتحانه كبار فقهاء الشيعة للتعرّف على إمامته ، وقدّموا أصعب المسائل من الفقه في جميع أبوابه من العبادات والمعاملات والإيقاعات ، فأجاب عنها بالتفصيل ، فاطمأنّت قلوبهم ، وآمنوا بإمامته .

وتحدّثت الأندية في بغداد وسائر الحواضر الإسلاميّة عن علوم الإمام ، وهو في هذا السنّ المبكّر من حياته ، ومن المؤكّد أنّه ليس هناك ظاهرة يتمسّكون بها سوى أنّ الإمام من أئمّة أهل البيت عليهم السلام قد منحهم الله تعالى الحكمة وفصل الخطاب ، وآتى صغيرهم من العلم مثل ما آتى عيسى بن مريم ، فوهبه العلم صبيّاً .

وعلى أي حال ، فقد كان هذا الإمام العظيم من ينابيع العلم والفضل ، وقد احتفّ به الرواة والعلماء يسألونه عن شؤون الدين وأحكام القرآن وآداب السلوك ومحاسن الأخلاق ، ويقول الرواة إنّه سئل في نوب متفرّقة عن ثلاثين ألف مسألة[١] ، فأجاب عنها أجوبة حاسمة .

وقد ملئت نفوس العلماء إعجاباً بثرواته العلميّة .

وقد احتفّ به العلماء والرواة وهم ينتهلون من فيض علومه عليه السلام ، وقد ترجمنا معظمهم في كتابنا (حياة الإمام محمّد الجواد عليه السلام) .

وكان الإمام من رموز الكرم والبرّ والإحسان للفقراء ، وقد سمّي بالجواد لجوده وكرمه ، وقد احتفّ به الفقراء حينما كان في المدينة ، وفي بغداد وهو يغدق عليهم بإحسانه ، وكان من عظيم ما يصبر إليه صلة الفقراء وإطعامهم وكسوتهم ، وهذه شذرات من معروفه :

---

(١) وسائل الشيعة : ١٨ : ٥١١ ـ ٥١٢ .

الإحسان للفقراء

أمّا الإحسان إلى الناس والبرّ بالفقراء فهو من ذاتيّات الإمام محمّد الجواد ﷺ ، فكان ملجأً وملاذاً لكلّ منكوب ، وهذه لمحات من كرمه وبرّه ﷺ :

إسعاف الحجّاج المنكوبين

روى المؤرّخون أنّ أحمد بن حديد قد خرج مع جماعة من أصحابه إلى الحجّ ، فهجم عليهم جماعة من السرّاق ونهبوا ما عندهم من أموال ومتاع ، ولما انتهوا إلى يثرب انطلق أحمد إلى الإمام محمّد الجواد وأخبره بما جرى عليهم ، فأمر ﷺ له بكسوة وأعطاه دنانير ليفرّقها على جماعته ، وكانت بقدر ما نهب منهم[١] .

وكانت هذه الظاهرة من سماته وسمات آبائه ﷺ الذين خلقوا للمعروف والإحسان .

مع علويّ

كان لعلوي هوى في جارية في يثرب ، وكانت يده قاصرة عن ثمنها ، فشكا ذلك إلى الإمام الجواد ﷺ ، فسأله عن صاحبها فأخبره عنه ، ولمّا كان بعد أيام سأل العلوي عن الجارية فقيل له : قد بيعت وسأل عن المشتري لها ، فقالوا له : لا ندري .

وكان الإمام الجواد قد اشتراها سرّاً ، ففزع العلوي نحو الإمام ، وقد رفع

(١) الصراط المستقيم : ٢ : ٢٠١ . الوافي بالوفيات : ٤ : ١٠٥ . الخرائج والجرائح : ٢ : ٦٦٨ ، عنه بحار الأنوار : ٥٠ : ٤٤ ، الحديث ١٣ .

صوته : بيعت فلانة .

فقابله الإمام ببسمات فيّاضة بالبشر قائلاً : **هَلْ تَدْرِي مَنِ اشْتَراها ؟**

- لا .

وانطلق معه الإمام إلى الضيعة التي فيها الجارية ، فانتهى إلى البيت الذي فيه الجارية ، فأمره عليه السلام بالدخول إلى الدار ، فأبى العلوي لأنّها دار الغير ولم يعلم أنّ الإمام قد اشتراها ، وأصرّ عليه الإمام بالدخول ، ولم يلتفت إلى أنّها ملك الإمام . ثمّ إنّه دخل الدار مع الإمام فلمّا رأى الجارية التي يهواها ، قال عليه السلام له : **أَتَعْرِفُها ؟**

- نعم .

هِيَ لَكَ وَالْقَصْرُ وَالضَّيْعَةُ وَالْغَلَّةُ وَجَميعُ ما فِي الْقَصْرِ فَأَقِمْ مَعَ الْجارِيَةِ .

وملأ الفرح قلب العلوي وحار في شكر الإمام[١] .

لقد كانت سجيّة الإمام عليه السلام الكرم والإحسان .

مع رجل من بني حنيفة

وصحب هذا الرجل الإمام إلى بيت الله الحرام ، فقال للإمام وهو على المائدة : إنّ والينا ـ جعلت فداك ـ يتولّاكم أهل البيت ويحبّكم وعليّ في ديوانه خراج ، فإن رأيت ـ جعلني الله فداك ـ أن تكتب إليه بالإحسان إليّ .

فقال عليه السلام : **لا أَعْرِفُهُ .**

فقال له الرجل : جعلت فداك ، إنّه على ما قلت من محبّيكم أهل البيت ، وكتابك ينفعني واستجاب له الإمام فكتب إليه بعد البسملة :

---

(١) مرآة الزمان : ٦ ، ورقة ١٠٥ من مصوّرات مكتبة الإمام أمير المؤمنين .

« أَمّا بَعْدُ ، فَإِنَّ مُوصِلَ كِتابي هٰذا ذَكَرَ عَنْكَ مَذْهَباً جَميلاً ، وَهُوَ مَذْهَبُ أَهْلِ الْبَيْتِ ، وَإِنَّ ما لَكَ مِنْ عَمَلِكَ إِلَّا ما أَحْسَنْتَ فيهِ ، فَأَحْسِنْ إِلىٰ إِخْوانِكَ ، وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ سائِلُكَ عَنْ مَثاقيلِ الذَّرِّ وَالْخَرْدَل[1] » .

ولمّا قفل راجعاً إلى وطنه عرض رسالة الإمام على الوالي فاستجاب له ورحّب به وقال له : لا تؤدِّ لي خراجاً ما دام لي عمل .

ثمّ سأله عن عياله فأخبره بعددهم ، فأمر له ولهم بصلة ، وظلّ الرجل لا يؤدّي الخراج ما دام الوالي حيّاً ، كما انّه لم يقطع صلته عنه[2] كلّ ذلك ببركة الإمام ولطفه .

إنّ الإمام الجواد عليه السلام أروع مثل وأسمى صورة للبرّ والإحسان إلى الناس ، وإنّه يجد في مبرّاته للفقراء متعة نفسيّة لأنّ ذلك ممّا يقرّبه إلى الله تعالى زلفى .

وقد ندب الإمام على ذلك إلى المبادرة إلى قضاء حوائج الناس ، فقد قال : « إِنَّ للهِ عِباداً يَخُصُّهُمْ بِدَوامِ النِّعَمِ ، فَلا تَزالُ فيهِمْ ما بَذَلوا لَها ، فَإِذا مَنَعوها نَزَعَها عَنْهُمْ وَحَوَّلَها إِلىٰ غَيْرِهِم »[3] .

وأكّد عليه السلام ذلك في حديث آخر له قال :

« ما عَظُمَتْ نِعَمُ اللهِ عَلىٰ أَحَدٍ إِلَّا عَظُمَتْ إِلَيْهِ حَوائِجُ النّاسِ ، فَمَن لَمْ يَحْتَمِلْ تِلْكَ الْمَؤُونَةَ عَرَّضَ تِلْكَ النِّعْمَةَ لِلزَّوالِ »[4] .

حكت هذه الكلمات اندفاع الإمام عليه السلام نحو البرّ والإحسان إلى الناس ، وإغاثة الملهوفين والمعذّبين وقضاء حوائجهم .

---

(١) **الخردل** : نبات حبّه صغير جدّاً .

(٢) بحار الأنوار : ٤٦ : ٣٣٩ . الكافي : ٥ : ١١١ .

(٣) و (٤) الفصول المهمّة : ٢٥٨ .

الإمام الهادي عليه السلام

الإمام عليّ الهادي من رموز أئمّة أهل البيت عليهم السلام في مواهبه وعبقريّاته وسعة علومه ، فقد كان فيما أجمع عليه المؤرّخون أعلم أهل زمانه لا في الفقه والحديث ، وإنّما في جميع أنواع العلوم ، وقد عجّت الأندية والمجالس في مختلف أنحاء العالم الإسلامي بالحديث عن ثرواته العلميّة وما يتمتّع به عليه السلام من الإيمان والحريجة في الدين .

وكان هذا الإمام العظيم في سنّ مبكّر ففجع بوفاة أبيه الامام محمّد الجواد عليه السلام الذي كان في شرخ الشباب ، وقد رجعت له فقهاء الشيعة وعلماؤها الذين كانوا يحتاطون أشدّ ما يكون الاحتياط في أمر الإمامة ، ويبحثون عنها بمنتهى الدقّة ، فإذا قامت الأدلّة القطعيّة الحاسمة على إمامة إمام من أهل البيت دانوا بها وآمنوا بإمامته ، ولم يكونوا بذلك مدفوعين وراء العواطف والأهواء ، وإنّما كانوا يرون أنّهم مسؤولون أمام الله تعالى عن معرفة الإمام ، والتديّن بإمامته ، وأنّ قوله وفعله وتقريره من السنّة التي يجب الأخذ بها ، فإنّ الإمامة عندهم أصل من أُصول الدين .

وقد احتفّ العلماء والفقهاء بالإمام الهادي عليه السلام ، وكان في مقتبل العمر ، وهم ينتهلون من نمير علومه التي لا حدّ لها ، وقد دان بإمامته شطر كبير من المسلمين ، فكانوا يحملون إليه حقوقهم الشرعيّة من الخمس وغيره ، مضافاً إلى الهدايا والألطاف .

وقد نقلت مباحث الدولة العبّاسيّة إلى المتوكّل العبّاسي سموّ مكانة الإمام وعظيم شأنه ، ففزع من ذلك أشدّ ما يكون الفزع ، وورم أنفه ، وانتفخ سحره ، وأمر بإشخاصه من المدينة إلى سامرّاء ، وتفتيش داره تفتيشاً دقيقاً ، فقد أخبرته المباحث أنّها مليئة بالأسلحة ، وفتّشت الجلاوزة دار الإمام عليه السلام ، فلم يجدوا فيها سوى المصاحف وكتب الأدعية وأخبر المتوكّل بذلك .

وحمل الإمام من المدينة قسراً إلى سامرّاء ، فلمّا حلّ فيها فرض عليه المتوكّل الإقامة الجبريّة ، كما فرض عليه الحصار الاقتصادي ، فمن حمل له الأموال تعرّض لسخط المتوكّل ونقمته وعوقب ، فكان يسجنه تارة ، ويطلقه أخرى ، وسعى به بعض الذين لا يرجون لله وقاراً بأنّ الإمام في بيته سلاح وأموال ، ولا يؤمن أن يقوم بثورة مسلّحة ضدّ حكومته .

فأوجس الطاغية في نفسه خيفة ، وأوعز إلى شرطته بالهجوم على دار الإمام وحمله إليه ، وهجمت الشرطة عليه ، فوجدوه في بيت مغلق وعليه مدرعة من شعر ، وليس بينه وبين الأرض من بساط إلّا الرمل والحصى[١] ، وهو مستقبل القبلة ، وهو يتلو قوله تعالى : ﴿ **أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَن يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ** ﴾[٢] .

وحملوه إلى المتوكّل وهو بتلك الحالة[٣] التي تمثّل زهد الأنبياء وروحانيّة المرسلين ، وكان الطاغية المتوكّل على موائد الخمر ثملاً سكراناً ، فلمّا بصر بالإمام ناوله كأساً من الخمر ، فزجره الإمام عليه السلام وصاح به : **وَالله ما خامَرَ لَحْمِي**

---

(١) دائرة معارف القرن العشرين : ٦ : ٤٣٧ .

(٢) العنكبوت ٢٩ : ٤ .

(٣) تاريخ الإسلام للذهبي : ١٨ : ١٩٩ . وفيات الأعيان وأنباء الزمان لابن خلّكان : ٣ : ٢٧٢ .

وَدَمِي قَطُّ.

وقال المتوكّل للإمام: أنشدني شعراً.

- إنِّي قَلِيلُ الرِّوايَةِ لِلشِّعْرِ.

وأصرّ الطاغية على مرامه قائلاً: لا بدّ أن تنشدني. ولم يجد الإمام بُدّاً من إنشاده، فأنشده هذه الأبيات الحزينة التي حوّلت أُنس الطاغية إلى بكاء وحزن قائلاً:

بـاتُوا عَـلى قُـلَلِ الأَجْـبالِ تَحْرُسُهُمْ
غُـلْبُ الرِّجـالِ فَـما أَغْـنَتْهُمْ الْـقُلَلُ
وَاسْـتُنْزِلُوا بَـعْدَ عِـزٍّ عَـنْ مَـراتِـبِهِمْ
فَـأُودِعُوا حُـفَراً يـا بِـئْسَ مـا نَـزَلُوا
نـاداهُـمُ صـارِخٌ مِـنْ بَـعْدِ ما قُبِرُوا
أَيْـنَ الأَسِـرَّةُ وَالتِّـيجانُ وَالْـحِلَلُ ؟
أَيْـنَ الْـوُجُوهُ الَّـتِي كـانَتْ مُـنَعَّمَةً
مِنْ دُونِـها تُـضْرَبُ الأَسْـتارُ وَالْكِـلَلُ ؟
فَـأَفْصَحَ الْـقَبْرُ عَـنْهُمْ حِـينَ ساءَلَهُمْ
تِـلْكَ الْـوُجُوهُ عَـلَيْها الدُّودُ يَـقْتَتِلُ
لَـطالَما أَكَـلُوا دَهْـراً وَمَـا شَـرِبُوا
فَـأَصْبَحُوا بَـعْدَ طُـولِ الأَكْـلِ قَدْ أُكِـلُوا[١]

(١) جاء في جوهرة الكلام: ١٥٢: إنّ هذه الأبيات وجدت مكتوبة على قصر سيف بن ذي يزن الحميري وقبلها الأبيات التالية:

«

واهتزّ المتوكّل ، وطار السكر من رأسه ، فلم يملك صوابه وأخذ يبكي بكاءاً شديداً ، وأشفق من حضر المجلس على الإمام من بطش المتوكّل ، وظنّوا أنّ بادرة سوء أو انتقام ستبدو منه تجاه الإمام .

وأمر المتوكّل برفع كؤوس الخمر عن المجلس ، والتفت إلى الإمام الزكيّ بخضوع وخشوع قائلاً : يا أبا الحسن عليك دَين ؟

- نَعَمْ . أرْبَعَةُ آلافِ دِينارٍ[1] .

وأمر الطاغية بدفعها إليه ، وخرج الإمام وقد وعظه بهذه الأبيات التي تذكّره بما يؤول إليه أمر الإنسان من الفناء ، ولا يحميه من سلطان الموت ما يتمتّع به من القدرة والامكانيّات الهائلة ، فإنّ الموت يطويه ويصير أمره إلى التراب .

دعاء الإمام عليه السلام على المتوكّل

وضاق الإمام ذرعاً من المتوكّل الذي لم يترك حرمة لله تعالى إلّا انتهكها ، وقد دعا عليه بالدعاء المعروف بدعاء المظلوم على الظالم ، وبدعاء السيف . وهو من كنوز أدعية أهل البيت عليهم السلام ، وهذه فقرات منه :

اللّهُمَّ إنّي وَفُلانَ بْنَ فُلانٍ - يَعْني الْمُتَوَكِّلَ - عَبْدانِ مِنْ عَبيدِكَ ، نَواصينا بِيَدِكَ ،

« انْظُرْ ماذا تَرى أَيُّها الرَّجُلُ ... وَكُنْ عَلىٰ حَذَرٍ مِنْ قَبلِ تَنتَقِلُ
وَقَدِّمِ الزّادَ مِنْ خَيرٍ تُسَرُّ بِهِ ... فَكُلُّ ساكِنِ دارٍ سَوفَ يَرتَحِلُ
وَانْظُرْ إلىٰ مَعشَرٍ باتوا عَلىٰ دَعَةٍ ... فَأَصْبَحوا في الثَّرى رَهْناً بِما عَمِلوا
بَنوا فَلَمْ يَنفَعِ البُنْيانُ وَادَّخَروا ... مالاً فَلَمْ يُغْنِهِمْ لَمّا انْقَضىٰ الأَجَلُ

نزهة الجليس : ٢ : ١٣٨ . مرآة الجنان : ٢ : ١٦٠ . تذكرة الخواص : ٣٦١ . الاتحاف بحبّ الأشراف : ٦٧ .

(١) حياة الإمام علي الهادي عليه السلام : ٣١٦ .

تَعْلَمُ مُسْتَقَرَّنا وَمُسْتَوْدَعَنا ، وَتَعْلَمُ مُنْقَلَبَنا وَمَثْوانا ، سِرَّنا وَعَلانِيَتَنا ، وَتَطَّلِعُ عَلى نِيّاتِنا ، وَتُحيطُ بِضَمائِرِنا ، عِلْمُكَ بما نُبْديهِ كَعِلْمِكَ بِما نُخْفيهِ ، وَمَعْرِفَتُكَ بِما نُبْطِنُهُ كَمَعْرِفَتِكَ بِما نُظْهِرُهُ ، وَلَا يَنْطَوي عَنْكَ شَيْءٌ مِنْ أُمورِنا ، وَلاَ يَسْتَتِرُ دُونَكَ حالٌ مِنْ أَحْوالِنا ، وَلا لَنا مِنْكَ مَعْقِلٌ يُحْصِنُنا ، وَلَا حِرْزٌ يُحْرِزُنا ، وَلا هارِبٌ يَفُوتُكَ مِنّا ، وَلَا يَمْتَنِعُ الظّالِمُ مِنْكَ بِسُلْطانِهِ ، وَلَا يُجاهِدُكَ عَنْهُ جُنودُهُ ، وَلا يُغالِبُكَ مُغالِبٌ بِمَنْعَتِهِ ، وَلَا يُعازُّكَ مُتَعَزِّزٌ بِكَثْرَةٍ ، أَنْتَ مُدْرِكُهُ أَيْنما سَلَكَ ، وَقادِرٌ عَلَيْهِ أَيْنَ لَجَأَ .

فَعاذَ الْمَظْلومُ مِنّا بِبابِكَ ، وَتَوَكَّلَ الْمَقْهورُ مِنّا عَلَيْكَ ، وَرُجوعُهُ إِلَيْكَ ، وَيَسْتَغيثُ بِكَ إذا خَذَلَهُ الْمُغيثُ ، وَيَسْتَصْرِخُكَ إِذا قَعَدَ عَنْهُ النَّصيرُ ، وَيَلوذُ بِكَ إذا نَفَتْهُ الْأَفْنِيَةُ ، وَيَطْرُقُ بابَكَ إِذا أُغْلِقَتْ دُونَهُ الْأَبْوابُ الْمُرْتَجَةُ ، وَيَصِلُ إِلَيْكَ إِذا احْتَجَبَتْ عَنْهُ الْمُلوكُ الْغافِلَةُ ، تَعْلَمُ ما حَلَّ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَشْكوهُ إِلَيْكَ ، وَتَعْرِفُ ما يُصْلِحُهُ قَبْلَ أَنْ يَدْعوكَ لَهُ ، فَلَكَ الْحَمْدُ سَميعاً بَصيراً ، لَطيفاً قَديراً[(١)] .

ويحكي الدعاء ما ألمّ بالإمام من الخطوب والنكبات من هذا العاتي الظالم الذي استهدف بظلمه وجوره أهل البيت وشيعتهم ، وقد ذكرنا الدعاء بأكمله في كتابنا حياة الإمام علي الهادي عليه السلام .

هلاك المتوكّل

واستجاب الله تعالى دعاء وليّه الإمام الهادي عليه السلام على المتوكّل ، فانتقم منه أشدّ ما يكون الانتقام ، فلم يلبث بعد هذا الدعاء سوى ثلاثة أيّام حتّى أودى الله تعالى بحياته ، وجعله أثراً بعد عين ، وصار في مزبلة التاريخ .

---

(١) مهج الدعوات : ٣٢٠.

ورثاه الشاعر بهذه الأبيات التي تحكي فجوره ولهوه :

هكَـــذا فَـلْتَكُنْ مَـنايا الْكِـرامِ ... بَـــيْنَ نــايٍ وَمِــزْهَرٍ وَمُــدامِ
بَــيْنَ كَـأْسَيْنِ أوْرَثـاهُ جَـميعاً ... كَـأْسِ لَـذّاتِـهِ وَكَـأْسِ الْـحِمامِ
لَـمْ يَـزُرْ نَـفْسَهُ رَسُـولُ الْـمَنايا ... بِـــصُنوفِ الْأَوْجــاعِ والْأَسْــقَامِ
يَـقِظٌ فِـي السُّـرُورِ حَـتّىٰ أَتـاهُ ... قَـــدَرُ اللهِ حَـــتْفُهُ فــي الْـمَنامِ
وَالْـــمَنايا مَـــراتِبٌ يَـتَفاضَلْـ ... ـنَ وَبِـالمُرْهَفَاتِ مَـوْتُ الْكِـرامِ
هــابَهُ مُـــغْلِناً فَـــدَبَّ إلَـــيْهِ ... في سُتورِ الدُّجى بِحَدِّ الْحُسامِ[1]

وكانت الملوك ترثى بما فقدته الأمّة من الإصلاح الاجتماعي الذي أسدوه عليها . أمّا المتوكّل فقد رثاه البحتري بأنّ المنيّة وافته وهو بين كؤوس الخمر وآلات الموسيقى والطرب .

وعلى أي حال ، فلنعد إلى إحسان الإمام الهادي عليه السلام إلى الفقراء والمساكين الذي هو موضوع هذا الكتاب .

برّ الإمام عليه السلام بالفقراء

وفد جماعة من أعلام الشيعة على الإمام الهادي عليه السلام وهم أبو عمرو عثمان بن سعيد ، وأحمد بن إسحاق الأشعري ، وعليّ بن جعفر الهمّاني ، فشكا إليه أحمد بن إسحاق ديناً عليه . فالتفت عليه السلام إلى وكيله أبي عمرو ، وقال له : **ادْفَعْ لَهُ ثَلاثِينَ أَلْفَ دِينارٍ ، وَإِلىٰ عَلِيِّ بْنِ جَعْفَرٍ ثَلاثينَ أَلْفَ دينارٍ** ، كما أعطى وكيله مثل

---

(١) روضة الأعيان : ١٠٨ ، وقيل : إنّ هذه الأبيات إلى إبراهيم بن أحمد الأسدي ، كما في زهر الآداب : ١ : ٢٢٧ .

هذا المبلغ .

وعلّق ابن شهرآشوب على هذه المكرمة العلويّة بقوله : « فهذه معجزة لا يقدر عليها إلّا الملوك ، وما سمعنا بمثل هذا العطاء »[١] .

وقد أغناهم الإمام عليه السلام وضمن لهم العيش الكريم ، ودفع عنهم ضائقة الفقر ، ومن المؤكّد أنّ خير العطاء ما أبقى نعمة .

هبته عليه السلام غنماً كثيرة يوم التروية

ومن بوادر نعمه ما حدّث به إسحاق الجلّاب ، قال : « اشتريت لأبي الحسن الهادي عليه السلام غنماً كثيرة يوم التروية ، فقسّمها عليه السلام في أقاربه »[٢] .

مع رجل كوفي

ومن بوادر معروفه وبرّه بالفقراء أنّ رجلاً من أهل الكوفة وفد عليه فلم يجده في منزله ، وإنّما كان خرج إلى ضيعة له ، فقصده فيها وسأله الإمام عن حاجته ، فقال له : يابن رسول الله ، أنا رجل من أعراب الكوفة المتمسّكين بولاية جدّك عليّ بن أبي طالب ، وقد ركبني فادح ـ أي دين ـ أثقلني حمله ، ولم أرَ من أقصده سواك .

فرقّ الإمام لحاله ، وأكبر ما توسّل به ، وكان عليه السلام في ضائقة لا يجد ما يسعفه به ، فكتب عليه السلام ورقة بخطّه جاء فيها : **إنَّ لِلْأَعْرابِيِّ دَيْناً عَلَيْهِ** ، وعيّن مقداره ، وقال له : « **خُذْ هٰذِهِ الْوَرَقَةَ ، فَإِذا وَصَلْتَ إِلىٰ سُرَّ مَنْ رَأىٰ ، وَحَضَرَ عِنْدي جَماعَةٌ**

---

(١) مناقب آل أبي طالب : ٣ : ٥١٢ .

(٢) بحار الأنوار : ٥٠ : ١٣٢ ، الحديث ١٤ .

فَطالِبْني بِالدَّيْنِ الَّذي في الْوَرَقَةِ ، وَأَغْلِظْ عَلَيَّ في تَرْكِ إيفائِك ، وَلا تُخالِفْني فيما أَقُول .

فأخذ الأعرابي الورقة ، ولمّا قفل الإمام إلى سرّ من رأى حضر عنده جماعة كان فيها من عيون السلطة ومباحث الأمن ، فجاء الأعرابي فأبرز الورقة ، وطالب الإمام بتسديد دَينه الذي في الورقة ، فجعل الإمام عليه السلام يعتذر إليه ، والأعرابي يغلظ له في القول .

ولمّا تفرّق المجلس بادر رجال الأمن إلى المتوكّل فأخبروه بالأمر ، فأمر بحمل ثلاثين ألف درهم إلى الإمام ، فحملت له ، ولمّا جاء الأعرابي قال له الإمام : **خُذْ هذا الْمالَ فَأَوْفِ بِهِ دَيْنَكَ ، وَأَنْفِقِ الْباقي عَلىٰ عِيالِكَ .**

وأكبر الأعرابي ذلك ، وقال للإمام : إنّ دَيني يقصر عن ثلث هذا المبلغ . ولكنّ الله أعلم حيث يجعل رسالته فيمن يشاء[١] .

وانصرف الرجل مسروراً داعياً للإمام عليه السلام ، فقد أنقذه من حياة البؤس والحرمان .

مع أبي هاشم الجعفري

وأبو هاشم الجعفري من عيون الشيعة وخيارهم ، وقد أصابته ضائقة اقتصاديّة ، فنظر الإمام إلى فاقته فخفّف عنه ما فيه وقال له : **يا أَبا هاشِم ، أَيُّ نِعَمِ اللهِ عَلَيْكَ تُريدُ أَنْ تُؤَدّي شُكْرَها ؟ رَزَقَكَ اللهُ الْإيمانَ فَحَرَّمَ جَسَدَكَ عَلَى النّارِ ، وَرَزَقَكَ الْعافِيَةَ بِإِعانَتِكَ عَلَى الطّاعَةِ ، وَرَزَقَكَ الْقُنوعَ فَصانَكَ عَنِ التَّبَذُّلِ .**

---

(١) الاتحاف بحبّ الأشراف : ٦٧ و ٦٨ . شرح شافية أبي فراس : ٢/ الورقة ١٦٧ . جوهرة الكلام : ١٥١ .

إنّ هذه النعم التي أدلى بها الإمام من أعظم نعم الله لمن يتمتّع بها ، ثمّ إنّ الإمام عليه السلام أمر له بمائة دينار[١] .

إنّ الإمام الهادي عليه السلام كان المفزع والملجأ للفقراء والمحرومين ، فلم يجدوا من يكشف عنهم ضائقة الفقر والبؤس وغيره ، وهو على ضعف حياته الاقتصاديّة ، وفرض الحصار عليه كان يجود بقوته وطعام عياله على الفقراء .

(١) أمالي الصدوق : ٤٩٧ و ٤٩٨ ، الحديث ٦٨٢ . بحار الأنوار : ٥٠ : ١٢٩ ، الحديث ٧ .

الإمام العسكري عليه السلام

الإمام الأعظم أبو محمّد الحسن العسكري من شموع العترة النبويّة ، ومن أفذاذ العقل الإنساني في مواهبه وعبقريّاته وجهاده في إشاعة العلم . فقد كان المنبع الفيّاض الذي ارتوى من نمير علومه الفقهاء والعلماء .

ومن أمثلته البارزة صموده أمام السياسة العبّاسيّة التي انحرفت عن الخطّ الإسلامي ، فأنفقت أموال المسلمين على الشهوات والملذّات ، ولم ترع مصالحهم ، وتطوير حياتهم الاجتماعيّة والاقتصاديّة .

إنّ الملوك الذين عاشرهم الإمام قد خلدوا إلى اللهو والمجون ومحاربة السادة العلويّين وشيعتهم ، وكان الإمام أبو محمّد قد تعرّض لأشقّ ألوان المحن والخطوب منهم ، فقد زجّه المستعين العبّاسي في ظلمات السجون ، ونكّل به أقسى ألوان التنكيل .

ولمّا خلع وبويع المعتزّ اعلن عداءه للإمام ، فأوعز باعتقاله ، وقابله بمنتهى الشدّة ، فدعا عليه الإمام ، فاستجاب الله تعالى دعاءه وانتقم منه أشدّ ما يكون الانتقام ، فقد طلب منه الأتراك أن يعطيهم أرزاقهم ، ولم يكن في بيت المال شيء ، فخفّ إلى اُمّه وكانت ذات ثراء عريض قد تكدّست عندها الأموال ، فطلب منها رواتب الجيش ، فامتنعت من إجابته .

ولمّا يئس الأتراك منه هجموا عليه وضربوه بالدبابيس ، وأقاموه في الشمس في يوم صائف شديد الحرارة ، وهم يقولون له : اخلع نفسك ، وأحضروا قاضي

بغداد وخلعوه ثمّ أدخلوه الحمّام ، فلمّا اغتسل عطش فمنعوه من الماء ، ثمّ سقوه ماء مثلّجاً فهلك(١) .

ومن الجدير بالذكر أنّ صالح بن وصيف القائد التركي هجم بجيشه على قبيحة أمّ المعتزّ ، واستولى على أموالها ، فوجد عندها خمسمائة ألف دينار ، وفتّش دارها فوجد عندها خزائن تحت الأرض ، كما وجدوا لها داراً تحت الأرض فيها ألف ألف دينار ، وثلاثمائة ألف دينار ، ووجدوا سفطاً فيه قدر مكوك من زمرّد لم ير الناس مثله ، ووجدوا سفطاً آخر فيه اللؤلؤ الكبار ، ووجدوا سفطاً فيه ياقوت آخر فحمل الجيش هذه الأموال الطائلة إلى صالح ، فلمّا رآها ذهل وقال : عرّضت ابنها للقتل في خمسين ألف دينار وعندها هذه الأموال .

وغادرت قبيحة بغداد متّجهة إلى مكّة ، فسمعت وهي تدعو بصوت عالٍ على صالح بن وصيف قائلة : اللّهمّ خذ صالحاً كما هتك ستري ، وقتل ولدي ، وشتّت شملي ، وأخذ مالي ، وغرّبني ، وركب الفاحشة منّي(٢) .

إنّ هذه الأموال الهائلة التي حوتها خزائن قبيحة قد نهبها العبّاسيّون من المسلمين ووهبوها إلى نسائهم ، وتركوا شبح الفقر جاثماً على المسلمين ، وهذا من الأسباب التي دعت الإمام أبي محمّد الحسن العسكري أن يعلن سخطه على الحكم العبّاسي ، ويدعوا إلى الإطاحة به .

وبعد هلاك المعتزّ تسلّم الحكم المهتدي العبّاسي ، فأوّل ما قام به اعتقال الإمام أبي محمّد عليه السلام وإيداعه في السجن ، وقد عزم على قتله وإبادة شيعته ، وكان أبو هاشم الجعفري مع الإمام في السجن ، فقال له الإمام : **يا أبا هاشمٍ ،**

---

(١) تاريخ الخلفاء : ٣٦٠ .

(٢) الكامل في التاريخ : ٥ : ٣٤٤ .

إِنَّ هٰذَا الطَّاغِيَةَ أَرادَ قَتْلي في هٰذِهِ اللَّيْلَةِ ، وَقَدْ بَتَرَ اللهُ عُمْرَهُ ، وَلَيْسَ لي وَلَدٌ ، وَسَيَرْزُقُني اللهُ وَلَداً(١) .

وكتب إليه بعض شيعته : أنّه قد بلغنا أنّه ـ أي المهتدي ـ يتهدّد شيعتك ، ويقول : والله لأجلينّهم عن جديد الأرض .

فوقّع ﷺ : **إِنَّ ذلِكَ أَقْصَرُ لِعُمْرِهِ ، عُدَّ مِنْ يَوْمِكَ هٰذا خَمْسَةَ أَيامٍ ، فَإِنَّهُ يُقْتَلُ في الْيَوْمِ السّادِسِ بَعْدَ هَوانٍ وَاسْتِخْفافٍ وَذُلٍّ يَلْحَقُهُ .**

وتحقّق ذلك كما أخبر ﷺ(٢) .

ولم تمض الخمسة أيّام حتّى هجم عليه الأتراك فطعنه تركي والتقم جرحه حتّى ملأ بطنه من دمه وهو يقول : قد رويت من دم المهتدي كما رويت في هذا اليوم من الخمر(٣) .

وانتهت بذلك حياة المهتدي الذي نصب العداء لأهل البيت ولشيعتهم .

وأفضت الخلافة إلى المعتمد العبّاسي وهو ابن خمس وعشرين سنة(٤) . فأمر الطاغية باعتقال الإمام وزجّه في السجن ، وكان مدير السجن صالح بن وصيف وعهد إليه أن ينقل له أخبار الإمام وما يتجدّد من أحاديثه وشؤونه ساعة بعد ساعة ، فأحاطه علماً بأنّه لم يقم بأيّ شيء يتصادم مع حكومته ، وأنّه قد انصرف عن الدنيا ، واتّجه صوب الله تعالى صائماً نهاره قائماً ليله . وسأله مرّة اُخرى فأخبره بمثل ذلك ، فأمره بإطلاق سراحه والاعتذار منه . وجاء مدير السجن مسرعاً إلى الإمام ليبشّره بالعفو عنه ، فوجده جالساً متهيّئاً

---

(١) و (٢) مهج الدعوات : ٢٧٤ .

(٣) مروج الذهب : ٤ : ١٢٧ .

(٤) مروج الذهب : ٤ : ١٣٨ .

للخروج قد لبس ثيابه وخفّه ، فبهر من ذلك ونهض الإمام فاعتلى جواده ووقف فقال له السجّان : ما وقوفك ؟

- **حَتّىٰ يَجيءَ جَعْفَرُ .**

- إنّما أمرني بإطلاق سراحك دونه .

- **امْضِ إِلَيْهِ وَأَخْبِرْهُ أَنّي أُخِذْتُ وَإِيّاهُ مِنَ الدّارِ ، فَإِذا رَجَعْتُ وَحْدي كانَ في ذٰلِكَ ما لا خَفاءَ بِهِ عَلَيْكَ .**

ومضى السجّان إلى المعتمد فأخبره بمقالة الإمام ، فأمره بإخلاء سبيله ، وخرج الإمام عليه السلام من السجن ، وهو يتلو قوله تعالى : ﴿ **يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ** ﴾[1] .[2]

وظلّ الإمام يعاني صنوفاً مرهقة من التنكيل من الطاغية المعتمد العبّاسي ، فقد أحاطه بقوى مكثّفة من الأمن تحصي عليه أنفاسه ، وتطارد كلّ من يتّصل به من شيعته ، كما عانى مثل ذلك من حكّام العبّاسيّين قبله ، وبقي الإمام تحت المراقبة الشديدة حتّى اغتاله المعتمد .

ومهما يكن الأمر ، فإنّا نعرض إلى مبرّات الإمام وإحسانه إلى الفقراء .

مبرّات الإمام عليه السلام للفقراء

وبالرغم ممّا أُحيط به الإمام أبو محمّد من الحصار الاقتصادي ، فإنّه كان يجود بطعامه وقوت عياله للفقراء ، وهذه شذرات منها :

---

(١) الصفّ ٦١ : ٨ .

(٢) مهج الدعوات : ٣٣٠ .

برّه عليه السلام بمحمّد بن عليّ

من إحسان الإمام وعظيم برّه أنّ محمّد بن عليّ بن إبراهيم بن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام قد ضاقت أموره ، فقال له أبوه : قد ضاقت أمورنا ، فقال أبي : امضِ بنا حتّى نصير إلى هذا الرجل ـ يعني أبا محمّد ـ فإنّه قد وصف لنا سماحه .

فقلت له : تعرفه ؟

قال : ما أعرفه ، ولا رأيته قطّ .

قال : فقصدناه ، فقال أبي في الطريق : ما أحوجنا إلى أن يأمر لنا بخمسمائة درهم : مائتي درهم للكسوة ، ومائتي درهم للدقيق ، ومائة درهم للنفقة .

وقلت في نفسي : ليته أمر لي بثلاثمائة درهم : مائة أشتري بها حماراً ، ومائة للنفقة ، ومائة للكسوة ، فأخرج إلى الجبل .

فلمّا وافينا الباب خرج إلينا غلامه ، فقال : يدخل عليّ بن إبراهيم ومحمّد ابنه ، فلمّا دخلنا عليه وسلّمنا ، قال لأبي : **يا عَلِيُّ ، ما خَلَّفَكَ عَنّا إلىٰ هـٰذَا الْوَقْتِ ؟**

- يا سيّدي ، استحييت أن ألقاك على هذه الحال .

ومكثا وقتاً يسيراً ثمّ خرجا ، فجاء غلام الإمام إليهما وناول عليّاً صرّة فيها دراهم ، وقال : هذه خمسمائة درهم : مائتا درهم للكسوة ، ومائتان للدقيق ، ومائة للنفقة .

وأعطى ولده محمّداً صرّة فيها ثلاثمائة درهم وقال له : اجعل مائة في ثمن حمار ، ومائة للكسوة ، ومائة للنفقة ، ولا تخرج إلى الجبل ، وصر إلى سوراء ، وصار محمّد إلى سوراء فتحسّنت أموره ، وصار من أثرياء العلويّين[١] .

---

(١) الكافي : ١ : ٥٠٦ ، الحديث ٣ . بحار الأنوار : ٥٠ : ٢٧٨ و ٢٧٩ ، الحديث ٥٢ .

لقد أنقذ الإمام هذين العلويّين من غائلة الفقر ، ووفّر لهما حياة كريمة لا بؤس فيها .

مع أبي هاشم الجعفري

كتب أبو هاشم الجعفري إلى الإمام وشكا إليه حاله وهو في السجن ، فكتب له الإمام : **أَنْتَ تُصَلّي الظُّهْرَ الْيَوْمَ في مَنْزِلِكَ** ، قال أبو هاشم : فأخرجت وقت الظهر وصلّيت في منزلي ـ كما قال ـ وكنت مضيّقاً عليَّ ، فأردت أن أطلب منه معونة في الكتاب الذي بعثته إليه .

فلمّا صرت إلى منزلي بعث لي مائة دينار ، وكتب إليَّ : « **إذا كانَتْ لَكَ حاجَةٌ فَلا تَسْتَحِ وَلَا تَحْتَشِمْ ، وَاطْلُبْها فَإِنَّكَ عَلىٰ ما تُحِبُّ إِنْ شاءَ اللهُ تَعالىٰ** »[1] .

وهكذا كان الإمام ملجأً وملاذاً للفقراء ، فكان لهم أباً عطوفاً يغمرهم بمبرّاته وإحسانه .

إعالته عليه السلام لفقراء الشيعة

أقام الإمام أبو محمّد وكلاء له في معظم المناطق الإسلاميّة لقبض الحقوق الشرعيّة والفتاوى التي ترسل له ، وعهد إليهم بصرف ما يرد إليه من الحقوق الشرعيّة كالخمس والزكاة والنذور وغيرها على الفقراء والضعفاء ، وعلى إصلاح ذات البين وغير ذلك ممّا ينفع الناس .

لقد كان الإمام مثالاً للرحمة الإلهيّة شأنه شأن آبائه الذين خلقوا رحمة للناس ، فهم أبواب الله تعالى ، فمن تمسّك بهم فقد تمسّك بالعروة الوثقى .

---

(١) الأنوار البهيّة : ٣٠٥ . إعلام الورى : ٢ : ١٤٠ . مناقب آل أبي طالب : ٣ : ٥٣٨ .

الإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجه

نحن أمام أمل الإنسانيّة الذي تتطلّع إليه الدنيا ليقيم فيها العدل الخالص والحقّ المحض ، وينقذ الإنسان من ويلات الظالمين ، ويطوي أجهزة السياسة الرعناء التي كفرت بحقوق الإنسان ، وحوّلت أموال الشعوب إلى صنع الأسلحة المبيدة التي تقضي على الحياة بسرعة خاطفة ، في حين أنّ ملايين البشر قد نهشهم الجوع ، وأكلتهم الأمراض ، وسادت فيهم الأوبئة الفتّاكة .

الإمام المنتظر عليه السلام أمل المعذّبين ورجاء المحرومين الذين ترنو إليه أبصارهم لينقذهم من واقعهم المرير فيشيع فيهم العدالة الكبرى ، ويوزّع عليهم خيرات الله ، فلا يبقى في ظلال حكمه بائس وجائع ، وإنّما يعيش الجميع برفاهية ورخاء ، لا ترهقهم ذلّة ، ولا يخشون ظالماً ومستبدّاً ، ويطبّق عليهم حكم الله تعالى .

وقد تواترت الأخبار عن النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام من بعده بظهور المصلح الأعظم الذي تزدهر به الدنيا ، وتقام به أحكام الله تعالى ، وهذه طائفة من الأحاديث النبويّة :

١ ـ روى حذيفة عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال :

« لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيا إلَّا يَوْمٌ واحِدٌ لَبَعَثَ اللهُ فيهِ رَجُلاً اسْمُهُ اسْمي ، وَخُلُقُهُ خُلُقي ، يُكَنَى أَبا عَبْدِاللهِ ، يُبايعُ لَهُ النّاسُ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقامِ ، يَرُدُّ اللهُ بِهِ الدِّينَ ، وَيَفْتَحُ لَهُ فُتوحاً ، فَلا يَبْقى عَلى وَجْهِ الْأَرْضِ إلَّا مَنْ يَقُولُ لا إلـهَ إلَّا اللهُ .

فقام إليه سلمان فقال : يا رسول الله ، من أي ولدك هو ؟

قال ﷺ : **هُوَ مِنْ وُلْدِ ابْني هـٰذا** ، وضرب بيده على الحسين »[١] .

حكى هذا الحديث ضرورة خروج الإمام المنتظر عليه السلام ، وأنّه لا بدّ من تحقّقه على مسرح الحياة حتّى لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم واحد .

٢ - روى الإمام جعفر الصادق عليه السلام بسنده عن جدّه رسول الله ﷺ ، قال : « **الْمَهْدِيُّ مِنْ وُلْدي ، اسْمُهُ اسْمي ، وَكُنْيَتُهُ كُنْيَتي ، أَشْبَهُ النّاسِ بي خَلْقاً وَخُلُقاً ، تَكُونُ لَهُ غَيْبَةٌ وَحَيْرَةٌ ، حَتّىٰ تَضِلَّ الْخَلْقَ عَنْ أَدْيانِهِمْ ، فَعِنْدَ ذٰلِكَ يُقْبِلُ كَالشِّهابِ الثّاقِبِ فَيَمْلَؤُها قِسْطاً وَعَدْلاً كَما مُلِئَتْ ظُلْماً وَجَوْراً** »[٢] .

حكى هذا الحديث أنّ غيبة الإمام مصدر حيرة وذهول عند بعض الأمم فيؤمن بها قوم ويجحدها آخرون ، وأنّ الإمام إذا ظهر يأتي بذخائر الأنبياء ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً .

٣ - روى جابر بن عبدالله الأنصاري أنّ رسول الله ﷺ قال : « **الْمَهْدِيُّ مِنْ وُلْدي ، اسْمُهُ اسْمي ، وَكُنْيَتُهُ كُنْيَتي ، أَشْبَهُ النّاسِ بي خَلْقاً وخُلُقاً ، تَكُونُ لَهُ غَيْبَةٌ وَحَيْرَةٌ تَضِلُّ فِيها الْأُمَمُ ، ثُمَّ يُقْبِلُ كَالشِّهابِ الثّاقِبِ يَمْلَؤُها عَدْلاً وَقِسْطاً كَما مُلِئَتْ جَوْراً وَظُلْماً** »[٣] .

٤ - قال رسول الله ﷺ : « **لا تَذْهَبُ الدُّنْيا حَتّىٰ يَمْلِكَ الْعَرَبَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتي ، يُواطِئُ اسْمُهُ اسْمي** »[٤] .

---

(١) عقد الدرر : ٥٦ .

(٢) كمال الدين : ٢٨٧ . ينابيع المودّة : ٣ : ٣٩٦ .

(٣) كفاية الأثر : ٦٧ . ينابيع المودّة : ٣ : ٣٨٦ .

(٤) سنن الترمذي : ٣ : ٣٤٣ . مسند أحمد بن حنبل : ١ : ٣٧٦ . سنن أبي داود : ٢ : ٣١٠ .

إنّ الدنيا لا تزول حتّى يملكها قائم آل محمّد فينشر العدل الاجتماعي والعدل السياسي ويدمّر صروح الظلم والطغيان .

٥ ـ روى أبو سعيد الخدري أنّ رسول الله ﷺ قال : « يَنزِلُ بِأُمَّتي في آخِرِ الزَّمانِ بَلاءٌ شَديدٌ مِنْ سُلْطانِهِمْ ، لَمْ يُسْمَعْ بِبَلاءٍ أَشَدَّ مِنْهُ حَتّىٰ تَضيقَ بِهِمُ الْأَرْضُ الرَّحِبَةُ ، وَحَتّىٰ تُمْلَأَ الْأَرْضُ جَوْراً وَظُلْماً ، لَا يَجِدُ الْمُؤْمِنُ مَلْجَأً يَلْتَجِئُ إِلَيْهِ مِنَ الظُّلْمِ ، فَيَبْعَثُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ رَجُلاً مِنْ عِتْرَتي ، فَيَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطاً وَعَدْلاً كَما مُلِئَتْ ظُلْماً وَجَوْراً ، يَرْضىٰ عَنْهُ ساكِنُ الْأَرْضِ ، لَا تَدَّخِرُ الْأَرْضُ شَيْئاً مِنْ بَذْرِها إِلَّا أَخْرَجَتْهُ ، وَلَا السَّماءُ مِنْ قَطرِها شَيْئاً إِلَّا صَبَّهُ اللهُ عَلَيْهِمْ مِدْراراً ، يَعيشُ فيهِمْ سَبْعَ سِنينَ أَوْ ثَمانٍ أَوْ تِسْعٍ[(١)] ، تَتَمَنَّى الْإِحْياءَ[(٢)] الْأَمْواتُ مِمّا صَنَعَ اللهُ بِأَهْلِ الْأَرْضِ مِنْ خَيْرِه »[(٣)] .

هذه نماذج يسيرة من أحاديث النبيّ ﷺ في الإمام المهديّ ﷺ روتها الخاصّة والعامّة ، وهي صريحة في حتميّة خروج الإمام المنتظر ، وأنّه سينشر العدل والأمن والرخاء في الأرض بحيث لا عهد للإنسانيّة بمثل عهده المشرق .

من أحاديث الإمام أمير المؤمنين ﷺ

وأثرت عن الإمام أمير المؤمنين ﷺ كوكبة من الأحاديث في الإمام المنتظر ، منها :

١ ـ نظر الإمام أمير المؤمنين ﷺ إلى ولده الحسين ﷺ ، وقال : إنَّ ابْني هٰذا

---

(١) الترديد من الراوي .

(٢) **الإحياء** ـ بكسر الهمزة ـ : البقاء .

(٣) المستدرك على الصحيحين : ٤ : ٤٦٥ .

سَيِّدٌ كَما سَمّاهُ رَسولُ اللهِ ﷺ ، وَسَيَخْرُجُ مِنْ صُلْبِهِ رَجُلٌ بِاسْمِ نَبِيِّكُمْ ، يَخْرُجُ عَلىٰ حينِ غَفْلَةٍ مِنَ النّاسِ ، وَإماتَةِ الْحَقِّ ، وَإظْهارِ الْجَوْرِ . وَيَفْرَحُ لِخروجِهِ أَهْلُ السَّماءِ وَسُكّانُها ، وَهُوَ رَجُلٌ أَجْلَى الْجَبينِ ، أَقْنَى الأَنْفِ ، ضَخْمُ الْبَطْنِ ، أَذْيَلُ الْفَخِذَينِ ، بِفَخِذِهِ الأَيْمَنِ شامَةٌ ، أَبْلَجُ الثَّنايا ، يَمْلأُ الأَرْضَ عَدْلاً ، كَما مُلِئَتْ ظُلْماً وَجَوْراً »[١] .

حكى هذا الحديث أنّ ظهور الإمام المنتظر ﷺ يكون بغتة ، وبصورة لا يتوقّعها الناس ، وأنّ من أمارات ظهوره إماتة الحقّ وانتشار الجور . كما حكى هذا الحديث صفات الإمام الجسديّة .

٢ - روى الإمام الحسين ﷺ أنّ أباه أمير المؤمنين ﷺ قال له : « التّاسِعُ مِنْ وُلْدِكَ - يا حُسَينُ - هُوَ الْقائِمُ بِالْحَقِّ ، وَالْمُظْهِرُ لِلدّينِ ، وَالْباسِطُ لِلْعَدْلِ .

فقال له الحسين : يا أَميرَ الْمُؤْمِنينَ ، إِنَّ ذلِكَ لَكائِنٌ ؟

قال ﷺ : إِي وَالَّذي بَعَثَ مُحَمَّداً بِالنُّبُوَّةِ ، وَاصْطَفاهُ عَلىٰ جَميعِ الْبَرِيَّةِ ، وَلكِنْ بَعْدَ غَيْبَةٍ وَحَيْرَةٍ ، فَلا يَثْبُتُ فيها عَلىٰ دينِهِ إِلَّا الْمُخْلِصونَ الْمُباشِرونَ لِروحِ الْيَقينِ ، الَّذينَ أَخَذَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ميثاقَهُمْ بِوِلايَتِنا ، وَكَتَبَ في قُلوبِهِمُ الإِيمانَ ، وَأَيَّدَهُمْ بِروحٍ مِنْه »[٢] .

أعرب الإمام في حديثه عن حتميّة ظهور الإمام المنتظر ، وما يقوم به في أيّام حكومته من بسط العدل ونشر الحقّ ، ولا يظهر إلّا بعد غيبة وحيرة ، ولا يؤمن به إلّا من امتحن الله تعالى قلبه للإيمان .

٣ - روى الأصبغ بن نباتة ، عن الإمام أمير المؤمنين ﷺ أنه قال : « الْمَهْدِيُّ مِنّا

---

(١) عقد الدرر : ٦٥ ، الباب الثالث .

(٢) كمال الدين : ٢٨٧ .

في آخِرِ الزَّمانِ ، لَمْ يَكُنْ في أُمَّةٍ مِنَ الْأُمَمِ مَهْدِيٌّ يُنْتَظَرُ غَيْرُه »[١] .

الإمام المهديّ ﷺ من دوحة النبوّة ، وليس غيره من يقوم بالإصلاح الاجتماعي ، ويزيل الأنظمة الفاسدة التي ترزح في ظلمات ظلمها الأمم والشعوب .

هذه بعض الأخبار التي أثرت عن الإمام أمير المؤمنين ﷺ في الإمام المنتظر ﷺ .

الإمام الحسن ﷺ

قال الإمام الحسن ﷺ في حديث له عن العلّة في صلحه مع الطاغية معاوية بن هند ، وعرض فيه إلى الإمام المهدي ﷺ : « وَيْحَكُمْ ، أَلَا تَعْلَمونَ أَنّي إمامُكُمْ ، مُفْتَرَضُ الطّاعَةِ عَلَيْكُمْ ، وَأَحَدُ سَيِّدَي شَبابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ بِنَصٍّ مِنْ رَسولِ اللهِ ﷺ .

قالوا : بلى .

قال : أَما عَلِمْتُمْ أَنَّ الخَضِرَ لَمّا خَرَقَ السَّفينَةَ ، وَأَقامَ الْجِدارَ ، وَقَتَلَ الْغُلامَ كانَ ذٰلِكَ سَخَطاً لِموسَى بْنِ عِمْرانَ ؛ إذْ خَفِيَ عَلَيهِ وَجْهُ الْحِكْمَةِ في ذٰلِكَ ، وَكانَ ذٰلِكَ عِنْدَ اللهِ تَعالىٰ ذِكْرُهُ حِكْمَةً وَصَواباً . أَما عَلِمْتُمْ أَنَّهُ ما مِنّا إلّا وَيَقَعُ في عُنُقِهِ بَيعَةٌ لِطاغِيَةِ زَمانِهِ ، إلّا الْقائِمُ الَّذي يُصَلّي روحُ اللهِ خَلْفَهُ ، فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُخْفي وِلادَتَهُ ، وَيُغَيِّبُ شَخْصَهُ لِئَلّا يَكونَ في عُنُقِهِ بَيْعَةٌ إذا خَرَجَ . ذٰلِكَ التّاسِعُ مِنْ وُلْدِ أَخي الْحُسَينِ ، ابْنُ سَيِّدَةِ النِّساءِ ، يُطيلُ اللهُ في عُمْرِهِ ، وَفي غَيْبَتِهِ ، ثُمَّ يَظْهَرُ بِقُدْرَتِهِ في صورَةِ شابٍّ دونَ أَرْبَعينَ سَنَةً ، وَذٰلِكَ لِيعْلَمَ أَنَّ اللهَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ »[٢] .

---

(١) دلائل الإمامة : ٤٧٩ .

(٢) كمال الدين : ٢٩٧ . كفاية الأثر : ٢٢٥ .

حكى هذا الحديث بعض الجوانب من حياة المنقذ العظيم ، والتي منها أنّه ليس في عنقه بيعة لظالم ، وإذا عجّل الله ظهوره فإنّ السيّد المسيح يصلّي خلفه ، وأنّ الله تعالى أخفى ولادته حفظاً على حياته من حكّام بني العبّاس ، كما حكى هذا الحديث أنّ الله تعالى يطيل عمره ، ويظهر للناس بصورة شابّ .

الإمام الحسين عليه السلام

أدلى الإمام الحسين عليه السلام في كوكبة من أحاديثه عن الإمام المنتظر كان منها هذا الحديث : « **فِي التّاسِعِ مِنْ وُلْدي سُنَّةٌ مِنْ يوسُفَ ، وَسُنَّةٌ مِنْ مُوسى ، وَهُوَ قائِمُنا أَهْلَ الْبَيْتِ ، يُصْلِحُ اللهُ تَعالىٰ أَمْرَهُ في لَيْلَةٍ واحِدَةٍ** »[١] .

شابه الإمام المنتظر عليه السلام يوسف الصدّيق في سجنه وحجبه عن الناس ، وشابه موسى نبيّ الله تعالى في خفاء حمله وولادته .

وقال عليه السلام : « **قائِمُ هٰذِهِ الْأُمَّةِ هُوَ التّاسِعُ مِنْ وُلْدي ، وَهُوَ صاحِبُ الْغَيْبَةِ** »[٢] .

الإمام زين العابدين عليه السلام

أذاع الإمام زين العابدين ، وإمام المتّقين جمهرة من الأحاديث عن الإمام المنتظر ، كان منها هذا الحديث :

قرأ الإمام زين العابدين الآية الكريمة : ﴿ **لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ** ﴾[٣] ، فقال عليه السلام : « **وَاللهِ هُمْ مُحِبّونا أَهْلَ الْبَيْتِ ، يَفْعَلُ اللهُ ذٰلِكَ بِهِمْ عَلىٰ يَدِ رَجُلٍ مِنّا .**

---

(١) كمال الدين : ٢٩٧ ، الحديث ١ . بحار الأنوار : ٥١ : ١٣٣ .

(٢) كمال الدين : ٢٩٨ ، الحديث ٢ .

(٣) النور ٢٤ : ٥٥ .

وَهُوَ مَهْدِيُّ هٰذِهِ الأُمَّةِ . قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ : لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيا إلّا يَوْمٌ لَطَوَّلَ اللهُ ذلِكَ الْيَوْمَ حَتّىٰ يَأْتِيَ رَجُلٌ مِنْ عِتْرَتي ، اسمُهُ اسْمي ، يَمْلأُ الأَرْضَ قِسْطاً وَعَدْلاً كَما مُلِئَتْ ظُلْماً وَجَوْراً »[١] .

الإمام الباقر عليه السلام

أشاع الإمام محمّد الباقر عليه السلام بكوكبة من الأحاديث عن الإمام المنتظر عليه السلام . منها قوله عليه السلام : « **الثّاني عَشَرُ الَّذي يُصَلّي خَلْفَهُ عيسى بْنُ مَرْيَمَ** »[٢] .

وذكرنا له حديثاً آخر في كتابنا حياة الإمام المنتظر عليه السلام .

الإمام الصادق عليه السلام

قال الإمام الصادق عليه السلام في حديث له : « **يَظْهَرُ صاحِبُنا** ـ يعني الإمام المهدي عليه السلام ـ **وَهُوَ مِنْ صُلْبِ هذا** ، وأومأ بيده إلى موسى بن جعفر عليه السلام ، **فَيَمْلأُها عَدْلاً كَما مُلِئَتْ جَوْراً وَظُلْماً ، وَتَصْفو لَهُ الدُّنْيا** »[٣] .

وله أحاديث كثيرة في الإمام المنتظر عليه السلام ذكرناها في كتابنا حياة الإمام المنتظر عليه السلام .

الإمام الكاظم عليه السلام

روى يونس بن عبدالرحمن ، قال : « دخلت على موسى بن جعفر عليه السلام فقلت : يابن رسول الله ، أنت القائم ؟

---

(١) ينابيع المودّة : ٣ : ٢٤٥ . مجمع البيان : ٧ : ٢٦٧ .

(٢) كمال الدين : ٣١١ ، الحديث ١٧ .

(٣) الغيبة للطوسي : ٤٢ .

فقال : أَنا الْقائِمُ بِالْحَقِّ ، وَلكِنَّ الْقائِمَ بِالْحَقِّ الَّذي يُطَهِّرُ الْأَرْضَ مِنْ أَعْداءِ اللهِ ، وَيَمْلَأُها عَدْلاً كَما مُلِئَتْ جَوْراً ، هُوَ الْخامِسُ مِنْ وُلْدي ، لَهُ غَيْبَةٌ يَطولُ أَمَدُها خَوْفاً عَلىٰ نَفْسِهِ ، يَرْتَدُّ فيها أَقْوامٌ ، وَيَثْبُتُ فيها آخَرونَ . طوبىٰ لِشيعَتِنا الْمُتَمَسِّكينَ بِحَبْلِنا في غَيْبَةِ قائِمِنا ، الثّابِتينَ عَلىٰ مُوالاتِنا ، وَالْبَراءَةِ مِنْ أَعْدائِنا . أُولئِكَ مِنّا ، وَنَحْنُ مِنْهُمْ ، قَدْ رَضوا بِنا أَئِمَّةً ، وَرَضينا بِهِمْ شيعَةً ، فَطوبى لَهُمْ ، ثُمَّ طوبىٰ لَهُمْ ، هُمْ وَاللهِ مَعَنا في دَرَجَتِنا يَوْمَ الْقِيامَةِ »[١] .

الإمام الرضا عليه السلام

وفد دعبل الخزاعي شاعر أهل البيت على الإمام الرضا سلام الله عليه ، فأنشده قصيدته الخالدة التي عرض فيها مصائب أهل البيت عليهم السلام ، وما عانوه من الظلم والجور من حكّام الأمويّين والعبّاسيّين ، وكان مطلعها :

مَدارِسُ آياتٍ خَلَتْ مِنْ تِلاوَةٍ   وَمَنزِلُ وَحْيٍ مُقْفِرُ الْعَرَصاتِ

ولمّا انتهى من قصيدته إلى قوله :

فَلَوْلا الَّذي أَرْجوهُ في الْيَوْمِ أَوْ غَدٍ   تَقَطَّعَ قَلْبي إِثْرَهُمْ حَسَراتِ

ورفع الإمام رأسه ليستمع إلى أمل الخزاعي الذي لولاه لذهبت نفسه أسى وحسرات ، وتلا دعبل قوله :

خُروجُ إِمامٍ لَا مَحالَةَ خارِجٍ   يَقومُ عَلَى اسْمِ اللهِ وَالْبَرَكاتِ
يُمَيِّزُ فينا كُلَّ حَقٍّ وَباطِلٍ   وَيَجزي عَلَى النَّعْماءِ وَالنَّقِماتِ

وبكى الامام الرضا عليه السلام بكاءً مرّاً وشديداً ، والتفت إلى دعبل شاعر المظلومين

---

(١) كفاية الأثر : ٢٦٥ و ٢٦٦ .

والمضطهدين فقال له : يا خُزاعِيُّ ، نَطَقَ روحُ الْقُدُسِ عَلىٰ لِسانِكَ بِهـٰذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ ، فَهَلْ تَدْري مَنْ هـٰذا الْإِمامُ ؟ وَمَتىٰ يَقومُ ؟

وطفق دعبل قائلاً : لا يا مولاي ، إلّا أنّي سمعت بخروج إمام منكم ، يطهّر الأرض من الفساد ، يملأها عدلاً .

وانبرى الإمام عليه السلام يعرّفه بالإمام المنتظر المصلح الأعظم قائلاً : يا دِعْبِلُ ، الْإِمامُ مِنْ بَعْدي ابْني مُحَمَّدٌ ، وَبَعْدَ مُحَمَّدٍ ابْنُهُ عَلِيٌّ ، وَبَعْدَ عَلِيٍّ ابْنُهُ الْحَسَنُ ، وَبَعْدَ الْحَسَنِ ابْنُهُ الْحُجَّةُ الْقائِمُ ، الْمُنْتَظَرُ في غَيْبَتِهِ ، الْمُطاعُ في ظُهورِهِ ، وَلَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيا إِلَّا يَومٌ واحِدٌ لَطَوَّلَ اللهُ ذٰلِكَ الْيَوْمَ حَتّىٰ يَخْرُجَ ، فَيَمْلأُ الْأَرْضَ عَدْلاً كَما مُلِئَتْ جَوْراً ، وَأَمّا مَتىٰ يَقومُ فَإِخْبارٌ عَنِ الْوَقْتِ ، وَقَدْ حَدَّثَني أَبي ، عَنْ جَدّي ، عَنْ أَبيهِ ، عَنْ آبائِهِ ، عَنْ عَلِيٍّ صَلَواتُ اللهِ عَلَيْهِ ، إِنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله قيلَ لَهُ : مَتى يَخْرُجُ الْقائِمُ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ ؟

فَقالَ : مَثَلُهُ كَمَثَلِ السّاعَةِ لَا يُجَلّيها لِوَقْتِها إِلَّا هُوَ عَزَّ وَجَلَّ ، ثَقُلَتْ فِي السَّماواتِ لَا تَأْتيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً »[1] .

حكى هذا الحديث أنّ ظهور الإمام المصلح العظيم أمر محتوم لا بدّ منه ، أمّا تحديد وقت ظهوره فذلك أمر بيده تعالى .

الإمام الجواد عليه السلام

روى الثقة الزكيّ السيّد عبدالعظيم الحسني ، قال : « دخلت على سيّدي محمّد بن عليّ ، وأنا أُريد أن أسأله عن القائم أهو المهدي أو غيره ؟

فابتدأني هو فقال لي : يا أَبا الْقاسِمِ ، إِنَّ الْقائِمَ مِنّا هُوَ الْمَهْدِيُّ الَّذي يَجِبُ أَنْ

---

(١) ينابيع المودّة : ٣ : ٣٠٩ و ٣١٠ ، الحديث ١ .

يُنْتَظَرَ في غَيْبَتِهِ ، وَيُطاعَ في ظُهورِهِ ، وَهُوَ الثّالثُ مِنْ وُلْدي ، وَالَّذي بَعَثَ مُحَمَّداً بِالنُّبُوَّةِ ، وَخَصَّنا بِالْإِمامَةِ ، إِنَّهُ لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيا إِلَّا يَوْمٌ واحِدٌ لَطَوَّلَ اللهُ ذلِكَ الْيَوْمَ حَتّىٰ يَخْرُجَ فيهِ ، فَيَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطاً وَعَدْلاً ، كَما مُلِئَتْ جَوْراً وَظُلْماً ، وَإِنَّ اللهَ تَبارَكَ وَتَعالىٰ لَيُصْلِحُ أَمْرَهُ في لَيْلَةٍ ، كَما أَصْلَحَ اللهُ أَمْرَ كَليمِهِ مُوسىٰ ، إِذْ ذَهَبَ لِيَقْتَبِسَ لِأَهْلِهِ ناراً فَرَجَعَ وَهُوَ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ .

ثمّ قال عليه السلام : **أَفْضَلُ أَعْمالِ شيعَتِنا انْتِظارُ الْفَرَجِ** »[١] .

لقد دلّل الإمام على حتميّة ظهور حفيده القائم المنتظر عليه السلام ، وأنّه لا بدّ أن يظهر ليقيم الحقّ ويدمّر الباطل .

الإمام الهادي عليه السلام

أكّد الإمام عليّ الهادي في جمهرة من أحاديثه على حتميّة ظهور الإمام المنتظر عليه السلام ، كان منها ما رواه الصقر بن أبي دلف ، قال : « سمعت عليّ بن محمّد بن عليّ الرضا عليه السلام يقول : **الْإِمامُ بَعْدي الْحَسَنُ ابْني ، وَبَعْدَهُ ابْنُهُ الْقائِمُ الَّذي يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطاً وَعَدْلاً كَما مُلِئَتْ جَوْراً وَظُلْماً** »[٢] .

الإمام العسكري عليه السلام

ونصّ الإمام الحسن العسكري عليه السلام في كوكبة من أحاديثه على إمامة ولده الإمام المنتظر عليه السلام ، كان منها ما رواه الثقة الجليل إسحاق بن سعد الأشعري ، قال : « دخلت على أبي محمّد الحسن بن عليّ عليه السلام وأنا أريد أن أسأله عن الخلف من

---

(١) كفاية الأثر : ٢٧٦ و ٢٧٧ . كمال الدين : ٣٥١ . إعلام الورى : ٢ : ٢٤٢ .

(٢) كفاية الأثر : ٢٤٧ . إعلام الورى : ٢ : ٢٤٧ .

بعده . فقال لي مبتدئاً : يا أَحْمَدَ بْنَ إِسْحاقَ ، إِنَّ اللهَ تَبارَكَ وَتَعالىٰ لَمْ يُخْلِ الْأَرْضَ مِنْذُ خَلَقَ آدَمَ عليه السلام وَلَا يُخْليها إِلىٰ أَنْ تَقومَ السّاعَةُ مِنْ حُجَّةٍ لِلّٰهِ عَلىٰ خَلْقِهِ . بِهِ يَـدْفَعُ الْبَلاءَ عَنْ أَهْلِ الْأَرْضِ ، وَبِهِ يُنَزِّلُ الْغَيْثَ ، وَبِهِ يُخْرِجُ بَرَكاتِ الْأَرْضِ .

وانبرى أحمد قائلاً : يابن رسول الله ، فمَن الإمام والخليفة بعدك ؟

فنهض عليه السلام مسرعاً فدخل البيت ، ثمّ خرج وهو يحمل بقيّة الله في الأرض ، وكأنّ وجهه في إشعاعه القمر ليلة البدر ، وكان عمر الإمام ثلاث سنين ، والتفت الإمام الحسن إلى أحمد قائلاً : يا أَحْمَدَ بْنَ إِسْحاقَ ، لَوْلَا كَرامَتُكَ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعَلى حُجَجِهِ ما عَرَضْتُ عَلَيْكَ ابْني هٰذا ، إِنَّهُ سَمِيُّ رَسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وَكَنِيُّهُ ، الَّذي يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطاً وَعَدْلاً كَما مُلِئَتْ جَوْراً وَظُلْماً .

يا أَحْمَدَ بْنَ إِسْحاقَ ، مَثَلُهُ في هٰـذِهِ الْأُمَّـةِ مَـثَلُ الْـخضرِ عليه السلام ، وَمَـثَلُهُ مَـثَلُ ذي الْقَرْنَينِ ، وَاللهِ لَيَغيبَنَّ غَيْبَةً لَا يَنْجو فيها مِنَ الْهَلَكَةِ إِلَّا مَنْ ثَبَّتَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى الْقَوْلِ بِإِمامَتِهِ ، وَوَفَّقَهُ فيها لِلدُّعاءِ بِتَعْجيلِ فَرَجِهِ .

وسارع أحمد قائلاً : يا مولاي ، فهل من علامةٍ يطمئنّ إليها قلبي ؟

ونطق الإمام المنتظر عليه السلام ، فأراه العلامة التي يطلبها قـائلاً : أَنـا بَـقِيَّةُ اللهِ فـي أَرْضِهِ ، وَالْمُنْتَقِمُ مِنْ أَعْدائِهِ ، فَلا تَطْلُبْ أَثَراً بَعْدَ عَيْنٍ .

ووقف أحمد على ما يريده ، واطمئنّ قلبه ، وخرج وهو ناعم البال ، فـلمّا كان اليوم الثاني عاد إلى بيت الإمام ، ولمّا تشرّف بمقابلته قال له : يابن رسول الله ، لقد عظم سروري بما مننت به عليّ فما السنّة الجارية فيه من الخضر وذي القرنين ؟

فأجابه الإمام عليه السلام : طولُ الْغَيْبَةِ ، يا أَحْمَد .

وطلب أحمد من الإمام أن يوضّح له طول غيبة الإمام قائلاً : يابن رسول الله ،

وانّ غيبته لتطول ؟

فأجابه الإمام : إي وَرَبّي -يعني لتطول غيبته- حَتّىٰ يَرْجِعَ عَنْ هٰذَا الأَمْرِ أكْثَرُ القائِلِينَ بِهِ وَلَا يَبْقى إلّا مَنْ أخَذَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَهْدَهُ لِوَلَايَتِنا ، وَكَتَبَ في قَلْبِهِ الإيمانَ ، وَأيَّدَهُ بِروحٍ مِنْه .

يا أحْمَدَ بْنَ إسْحاقَ ، هذا أمْرٌ مِنْ أمْرِ اللهِ ، وَسِرٌّ مِنْ سِرِّ اللهِ ، وَغَيْبٌ مِنْ غَيْبِ اللهِ . فَخُذْ ما آتَيْتُكَ وَاكْتُمْهُ وَكُنْ مِنَ الشّاكِرينَ تَكُنْ مَعَنا غَداً في عِلّيّين »[(١)] .

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن بعض الأخبار التي أثرت عن النبيّ ﷺ وأوصيائه العظام الذين أذهب الله تعالى عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً في حتميّة خروج الإمام المنتظر وقيامه بالاصلاح الشامل لجميع نواحي الحياة حتّى تملأ الأرض قسطاً وعدلاً ، وتدمّر معاقل الظلم والجور ، ويكون الحكم للإسلام والقرآن .

ولنعد إلى ما نحن بصدده في هذا الكتاب .

برّ الإمام المنتظر عليه السلام بالفقراء

الإمام المنتظر عليه السلام هبة من الله تعالى ورحمة منه لعباده ، وهو من أندى الناس يداً ، ومن أكثرهم جوداً وعطاءً ، ويجمع الرواة أنّ في أيّام دولته وحكومته يوزّع خيرات الله تعالى على جميع الفقراء والمحرومين بحيث لا يبقى في ظلال حكمه فقير أو محتاج ، وحتّى لا يجد مَن وجبت عليه الزكاة فقيراً يعطيها له ، ولنستمع إلى ما روي في ذلك :

روى ابن عساكر عن النبيّ ﷺ أنّه قال : « يَكُونُ في آخِرِ الزَّمانِ خَليفَةٌ يَحْثي

---

(١) كمال الدين : ٣٥٧ و ٣٥٨ .

الْمالَ حَثْياً »(١).

روى جابر ، قال : « أقبل رجل على أبي جعفر عليه السلام وأنا حاضر ، فقال : رحمك الله ، اقبض هذه الخمس مائة درهم فضعها في مواضعها ، فإنّها زكاة أموالي .

فقال له أبو جعفر : بَلْ خُذْها أَنْتَ فَضَعْها في جيرانِكَ وَالْأَيْتامِ وَالْمساكِينِ ، وَفي إِخْوانِكَ مِنَ الْمُسْلِمينَ ، إِنَّما يَكُونُ هذا إِذا قامَ قائِمُنا ، فَإِنَّهُ يُقَسِّمُ بِالسَّوِيَّةِ ، وَيَعْدِلُ في خَلْقِ الرَّحْمنِ الْبَرِّ مِنْهُمْ وَالْفاجِرِ ، فَمَنْ أَطاعَهُ فَقَدْ أَطاعَ اللهَ ، وَمَنْ عَصاهُ فَقَدْ عَصَى اللهَ ، فَإِنَّما سُمِّيَ الْمَهْدِيُّ ؛ لِأَنَّهُ يَهْدي لِأَمْرٍ خَفِيٍّ ، يَسْتَخْرِجُ التَّوْراةَ وَسائِرَ الْكُتُبِ مِنْ غارٍ بـ(أَنْطاكِيَةَ) ، فَيَحْكُمُ بِأَهْلِ التَّوْراةِ بِالتَّوْراةِ ، وَبَيْنَ أَهْلِ الْإِنْجيلِ بِالْإِنْجيلِ ، وَبَيْنَ أَهْلِ الزَّبورِ بِالزَّبورِ ، وَبَيْنَ أَهْلِ الْفُرْقانِ بِالْفُرْقانِ ، وَتُجْمَعُ إِلَيْهِ أَمْوالُ الدُّنْيا كُلُّها ، ما في بَطْنِ الْأَرْضِ وَظَهْرِها ، فَيَقولُ لِلنّاسِ : تَعالوا إِلىٰ ما قَطَعْتُمْ فيهِ الْأَرْحامَ ، وَسَفَكْتُمْ فيهِ الدِّماءَ ، وَرَكِبْتُمْ فيهِ محارِمَ اللهِ ، فَيُعْطي شَيْئاً لَمْ يُعْطِهِ أَحَدٌ كانَ قَبْلَهُ »(٢).

ومن فيوضاته وسعة كرمه أنّ القسم الثاني من الخمس المسمّى بحقّ الإمام الذي يدفع له في حال غيبته قد أباحه للفقراء من شيعته ، وإلى خدمة الإسلام ، والمروّجين له ، والداعين له من طلبة العلوم الدينيّة ، وتعيش الحوزات العلميّة في النجف الأشرف وقم المقدّسة بهذا الفيض العلويّ ، ولكن ما يدفع من هذا القسم بمراجعة المرجع الديني للطائفة الإماميّة .

وبهذا نطوي الحديث عن الإيثار والبرّ بالفقراء في سيرة النبيّ وأهل بيته .

الحمد لله ربّ العالمين

وصلّى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله الطاهرين

---

(١) تاريخ مدينة دمشق : ١ : ١٨٦ . كنز العمّال : ١٤ : ٢٦٣ .

(٢) عقد الدرر : ٣٩ .

مُحتويات الكتاب

الإيثار والإحسان والبر في القرآن

سيرة النبي ﷺ مع الفقراء

سيرة أهل البيت عليهم السلام مع الفقراء

الإمام علي عليه السلام

الزّهراء عليها السلام

٤٤ ـ ٤٨

الإمام الحسن عليه السلام

٤٩ ـ ٥٥

الإمام الحسين عليه السلام

٥٦ ـ ٦٢

الإمام السّجاد عليه السلام

٦٣ ـ ٧٢

الإمام الباقر عليه السلام

الإمام الصادق عليه السلام

الإمام الكاظم عليه السلام

الإمام الرضا عليه السلام

الإمام الجواد عليه السلام

الإمام الهادي عليه السلام

الإمام العسكري عليه السلام

١٢٤ ـ ١٢٩

الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه

١٣٠ ـ ١٤٢

محتويات الكتاب

١٤٣ ـ ١٥٠